

روايات مصرية للحيث



32

ما وراء الطبيعة أسطورة رفعت !



www.dvd4arab.com
Hany3H

مقدمة

قال (كراكوس) وهو يشعل عود الثقاب .. ويدنيه
من الدمية :

- « إن هناك أشياء مرعبة في هذا العالم يا زميلي ..
لكنهم يقولون - وهم على حق - إن مالا تعرفه لن
يؤذيك .. »

قلت له وأنا أرقب الذهب يتوهج في القماش :
- هذا خطأ .. إن ما أعرفه هو ما لن يؤذي .. »
ورحت أرمق ضوء الشموع يتوهج في محاجر
الجماجم السبع .. وشعرت بقلق غريب .. إن هذه
الدمية تشبهني إلى حد غير عادي ..
فلا توجد دمي كثيرة صلعاء ناحلة ترتدى العوينات ،
ويبدو عليها السقم ..

قال (كراكوس) وأنيابه تلتمع بين شفثيه
المتآكلتين :

- « يقولون إنك رأيت كثيرا جدا في سنى عمرك
السبعين .. »

- « أكثر من أسماك المحيط .. »

ورحت أرمق الدمية التى تتوهج باللهب رويدًا :
ربما - برغم كل شيء - لم تكن هذه الدمية تمثلنى ..
ولو كانت تمثلنى ربما هى ليست (فتيش) حقيقياً ..
أمل هذا وأتمناه ...

قال (كراكوس) - كأنما لا يلاحظ توترى - وهو
يطفى العود :
- « إن أشنع مسخ يمكن للمرء أن يلقاه هو نفسه ! »
قلت مؤمناً على كلامه :

- « أنا قابلت نفسى فى عام ١٩٧٠ .. وكانت لهذا
قصة غريبة .. اسمح لى أن أحكيها لك .. »
وفى سرى تمنيت أن يكفى الوقت الباقى لى
لذلك

سأحكى القصة لـ (كراكوس) .. وستسمعونها
معه ..

أعتقد أنكم ستحبونها .. أو - على الأقل - لن تشير
ملككم ...

هذا لو استطعت أن أكملها حقاً !

★ ★ ★

١ - لقاء مع نفسى !!

إن المرء لا يلقى نفسه كل يوم .. لهذا لن تكون
مبالغة منى لو ابتعت زجاجتى مياه غازية ، وقطعتين
من (الجاتوه) استعداداً للقاء كهذا !

★ ★ ★

أعتقد أن ما سيحدث ليس غريباً على أكثركم ..
إن من قرءوا منكم (بعد منتصف الليل) - وأرجو
أن يكونوا كثيرين - يذكرون بلا شك تلك المكالمة
الهاتفية التى تلقيتها على الهواء فى الإذاعة ..
إنها مكالمة طريفة بعض الشيء .. فصاحبها يتكلم
بصوتى .. وله اسمى نفسه ..

ويستعرض أخص ذكرياتى التى يعرفها جميعاً ..
لا حظوا أنه لا أحد يعرف ما تعرفون أنتم ..
فالأحداث جرت عام ١٩٧٠ ، وأنا لم أمسك القلم
لأكتب ذكرياتى إلا عام ١٩٩٢

لهذا بدا لى الأمر غريباً .. لا يمكن تفسيره بمزحه

أو معاكسة هاتفية .. وكان البت في الأمر مستحيلاً وقتها ..

لهذا اقترح المذيع (شريف السعدنى) - وهو شاب لامع إلى درجة لا تطاق - أن يتم لقاء بيننا .. وقررت أن يتم اللقاء فى شقتى ..

إن الذى اتصل بى يزعم أنه هو (رفعت إسماعيل) الحقيقى .. وهو أمر أرحب به فقط لو قال لى من أكون أنا ؟ لا أحب أن ينتزع منى أحد هويتى ليتركنى بلا هوية .. ثم إنه لا يوجد حافظ قوى لدى أى إنسان كى يتقمص شخصيتى .. فأنا لا أملك ثروة ولا نفوذاً .. فقط أملك جعبة هائلة من المتاعب والعيوب والذكريات الرهيبة ..

فمن يريد مشاركتى فى كيس الأفاعى هذا ؟

هذا هو الموقف الذى بدأت به القصة ..

ولكن كيف عساها تنتهى ؟

★ ★ ★

فى شقتى العامة ..

الساعة تقترب من الساعة مساءً ..

هأنذا أعد الاستعدادات الأخيرة لاستقبال ضيفى ..

لو كان هو أنا حقاً فمن السهل أن أرحب به كما ينبغي .. فأنا أعرف ما أحب .. أدير أسطوانة لـ (عبد الوهاب) فى قصيدة قديمة ، وأضع علبة تبغ على المنضدة أمامه ، وأعد أكواب الشاي - هو لا يحب الأقداح مثلى - والقهوة ولا بأس بزجاجة (كولا) .. إنها رباعية اللون الأسود التى يتحدث عنها أطباء القلب : الشاي - القهوة - الكولا - الدخان .. والتى يندر ألا يحبها مرضى الشرايين التاجية ، وتقودهم إلى القبر أو العناية المركزة أيهما أسرع .. كل شيء جاهز .. أكواب الشاي والأقداح مفسولة ومقلوبة على (رخامة) المطبخ .. والبراد ملىء ومستعد للعمل .. والمياه الغازية فى الثلاجة .. ولا بأس بعود من البخور يزيل رائحة شقتى الخائقة ...

لماذا احتفى به إلى هذا الحد ؟ سؤال سخيف ..

لأنه أنا .. هذا مفهوم وواضح تماماً ..

كنت أدرك من البداية أن الأمر سيكون خارقاً للعادة .. سيكون شيئاً من عالم ما وراء الطبيعة .. أدركت هذا وتمنيته ...

ودعوت الله ألا يسفر انتظاري عن أمر مبتذل ،
كان تكون مزحة سخيفة أو حيلة نصاب .. ولو أن
هذا مستبعد لأن كل مزحة لها حدود لا تستطيع
تجاوزها ..
وهذا هو ما جعلني أومن بأن ما ينتظرني هو حدث
جلل .. حدث يستحق أن أحتفل به بالاحترام والوقار
الضروريين ..



وهكذا رحت أطالع بعض المجلات ، وأنتظر أن يدق
جرس بابي ...
ذهني كان فرسًا جموحًا يأبى أن تضع فوقه سرج
التركيز .. فكلما حاولت أن أروضه ليفهم ما يقرأ ،
كان يفر مني .. ويركل .. ويصهل .. ويرمخ في سهول
الشروود الإنسانية حيث تتناثر أشجار التساؤلات :
كيف ؟ من ؟ لماذا ؟

هل يمكن أن ألقى نفسي حقًا ؟

إن هناك تقسيمات متعددة لا أستطيع التفكير في
خير منها .. وكعادتي في ترتيب أفكاري أمسكت بالورقة
والقلم وبدأت التدوين حتى لا تفلت الأفكار مني :

١ - فرضية الجنون : هي أفضل الفرضيات ها هنا ..
إنني قرأت الكثير من روايات (دستوفسكي)
الرهيبية التي تغوص حتى العنق في مستنقع النفس
البشرية .. يوجد موقف خالد متكرر فيها هو أن يلقي
البطل نفسه ! يجلس معها ويتحاور معها .. ويكون هذا
هو بداية الجنون أو نهايته ..

إذن الاحتمال الأول هو أنني مجنون ...
كان هذا سيحل المشكلة بأسرها ، لكن عيب هذه
الفرضية هو أن (شريف) - وكل من سمع حلقة
البرنامج إياها - استمع معي إلى هذا الـ (رفعت)
وهو يحاورني ويتحدثني ويستعرض ذكرياتي ..
ربما تصورت أنا ذلك ؟ سهل سؤال (شريف)
وسماع تسجيل الحلقة على كل حال .. هذه الفرضية
قابلة للتمحيص إذن ...

٢ - الفرضية الثانية هي فرضية النسخة الجينية :
أي أن هناك نسخة جينية لي أنا بالذات .. تمشي على
الأرض وتتكلم وتمزح ..
كان هذا حلمًا دائمًا لدى كتاب الخيال العلمي ..
لكنه لم يتحقق - أو يوشك على ذلك - إلا في

التسعينات .. لهذا بدا لي هذا الفرض مستبعدًا تمامًا وقتها ..

برغم أنني قرأت كتابًا كاملاً عن (الإيوجينيا) وعرفت أن هذا ممكن في المستقبل ..

٣ - فرضية التوعم : فرضية سخيفة .. فأنا لا أعرف لي توعمًا .. وأمي - طيب الله ثراها - لم تقل لي إن هناك واحدًا ..

وحتى لو فرضنا تجاوزًا أن لي توعمًا ؛ فما كان ليعرف كل شيء عن حياتي ما دام قد ظل بعيدًا عني كل هذه السنين ..

٤ - فرضية التوعم السيامي ، توعم كان ملتصقًا بجسدي .. ونموت أنا بينما تضاعل هو .. وتفصل عني .. لكنه مصمم على الانتقام ...

إنها فكرة مرعبة قابلت مثلها بعد ذلك بأعوام .. فذكروني كي أحكيها لكم (*) كما إن هناك فيلمًا يحمل اسم (قضية السلة) له ذات الحبكة ..

(*) أعتقد أن اسمها سيكون (أسطورة الآخر) ما لم أشعر وقتها بأن الاسم سخيف ومتحذلق !

لكني أعتقد أنني كنت سأعرف لو انفصل جزء من لحمي في أية فترة من حياتي .. ألا ترون هذا معي ؟
٥ - فرضية المزحة : وهي مزحة عسيرة حقًا تم ترتيبها بين معارفي جميعًا .. حيث جلسوا .. وكتبوا تاريخ حياتي كما رآه كل منهم .. ثم انتخبوا خبيرًا في تقليد الأصوات ليتصل بي مداعبًا .. ويسبب حيرتي .. هذا عسير حقًا .. فالتناس لا يمزحون بهذا الجهد المعقد ..

٦ - فرضية (شيء ما) : وهي أكثر الفرضيات قبولًا لدى .. بهذا يمكن تفسير أي لغز من ألغاز الكون .. شيء ما تسبب في إرباكي .. شيء ما يحمل كل صفاتي ويعرف كل أسرارى ويؤكد أنه أنا .. شيء ما سيزورنى في شفتى بعد قليل ...
ما هو هذا الـ (شيء ما) ؟

لو عرفت لأعطيته اسمًا ذا دلالة ... سأحاول هنا أن أتجنب نظرية (القرين) لما فيها من أشواك .. وأتجنب نظرية أن قارئ أفكار - مثل د. (لوسيفر) يتسلى بإغاظتى .. لأن هذا يمكن نفيه بسهولة بمجرد لقائى به ..

وهكذا - وأنا أزيح الورقة جانباً - رأيت أن الحل
الأمثل هو سياسة : انتظر لتتري .. ورحلت أتأمل
عقارب الساعة في توتر ..

★ ★ ★

إنها العاشرة مساءً ..
للأسف .. ليس سهلاً أن يلقي المرء نفسه ..
سأحاول ألا أموت حسرة على قطعتي (الجاتوه) اللتين
اشتريتهما اليوم ، وسأضطر إلى العشاء بهما ..
هنا دق جرس الهاتف ..

هرعت لأرفع السماعة متوقفاً كدأبي مصيبة ما ..
هنا سمعت صوتي الوقور المميز يتكلم :
- « ألو .. د. (رفعت) ؟ »
قلت في غضب :

- « هأنذا أيها النصاب ! »
طقطق بلسانه محذراً .. وقال بذات الوقار :
- « أنت تخرج عن اتزانك ! »

- « بعد كل هذا الانتظار تتهمني بأنني خرجت عن
اتزاني ؟ إنني غاضب .. »
- « لكل منا ظروفه .. »



هرعت لأرفع السماعة متوقفاً كدأبي مصيبة
ما .. هنا سمعت صوتي الوقور المميز يتكلم ..

وأردف في تودة :

- « إن هناك مشاكل معينة لدى ها هنا في العمل ..
لا أدري متى تنتهي .. اقترح أن نجعل الميعاد مفتوحاً .. »
- « آها ! إذن هو التراجع ! »

- يمكنك أن تقنع نفسك بذلك إلى أن نلتقى .. »
وقبل أن أجد ردّاً لاذعاً كان قد وضع السماعة ..
إنه نفس أسلوبى فى المشادات : لتكون لك الكلمة
الأخيرة دائماً قبل أن يجد خصمك الرد المناسب .. إن
هذا سيقتله غيظاً ..
وقد قتلنى غيظاً بالفعل ..

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H

٢ - أشياء مريبة ها هنا ..

إن المرء لا يلقي نفسه كل يوم .. لهذا لم أستطع
أن أمنع نفسي من الشعور بخيبة أمل ساحقة ..
★ ★ ★

ومرت الليلة فى سلام ..
لم تكن هناك أحداث سوى ذلك الكابوس المقيت
الذى ألقى فيه منات النسخ منى ، وكلهم غاضبون
لسبب لا أدريه ، لحظتها خطر لى أن اختفائى لن
يشكل كارثة ما دام هناك المنات منى ، ومراراً
صرخت : أنا الوحيد ! أنا الأصل ! لكن ما معنى هذا
ما دام الجميع يقولون نفس الشيء عن أنفسهم ؟
فى الصباح استعددت للذهاب إلى المستشفى ، وقد
بدت لى ليلة أمس شيئاً باهتاً سحيقاً كنقش رسمه
الأشوريون على جدار ..
حييت البواب ، وأدرك محرك السيارة الواقفة أمام
البنية .. كروو كروو !

ثمة مشكلة ما .. إن السيارة من طراز عتيق حقًا لكنها لم تنته بعد ..

نظرة إلى مؤشر الوقود جعلتني أدرك أن الخزان خاو أو يكاد ..

كيف ؟ لقد كان به ما يكفي أمس .. أنا متأكد من ذلك .. هناك من يسرق البنزين من سيارتي أو يسرق السيارة ذاتها ليتنزه بها ..

ناديت البواب .. وهو بالمناسبة شديد الكبرياء حاد جدًا يعاملنا - نحن سكان العمارة - باحتقار لا مبرر له ، ولسان حاله يقول : لست خادمًا لأبيكم إن الزمن الأغبر هو ما جعلكم تصدرون الأوامر لي ..

جاءني متململاً مشتملاً ، ويداه في جيبي جلبابه ..

فسألته في أدب معلناً عن خجلي من وقاحتي :

- « أ .. (عبد الله) .. هل رأيت أحداً يتحرك

بهذه السيارة ؟ »

أطلق زفرة ضيق .. وقال :

- « سبحان الله ! لا أحد سواك .. »

- « ولم تر أحداً يدنو منها ؟ »

- « سبحان الله ! لا أحد .. منذ ركنتها هنا

مساء أمس .. »

- « لحظة .. تعنى ظهر أمس .. »

- « بل مساء أمس .. التاسعة مساء .. سبحان

الله يا بك ! لقد صار النسيان دأبك هذه الأيام .. وبعد

هذا غادرت العمارة راجلاً .. ويبدو أنك قضيت ليلتك

في الخارج .. »

- « أنا بت في الخارج ؟ »

عاد ينفخ في ازدياء .. وقال وهو يدير جسده في

اتجاه الباب :

- « سبحان الله ! أنت قلت هذا .. »

- « وأين بت إذن ؟ »

- « هذا ليس عملي .. الله أعلم بما يفعله كل من

هؤلاء السكان ليلاً ! »

وجدت أنني لن أظفر منه سوى بمزيد من التذمر

ونفخ الهواء ، فصرفته .. وأنا أمرر كلماته مراراً

على جهاز التحليل الموضوع في مخي ..

وقدت السيارة إلى أقرب محطة بنزين ، وأنا

أتساءل عن كنه هذا الذي قال ... إنه ذكي - برغم

ضيق صدره - ويمكن الثقة بأن الأمر لم يختلط عليه

أو يتشابه .. أمثاله يدسون أنوفهم في كل شيء ..

وفضوليون جدًا .. ولو سطا لص على العمارة فيسكون
هذا البواب شاهداً دقيقاً جدًا لدى الشرطة وسيحدد
ملاحم اللص بدقة فوتوغرافية مذهلة ..
لكنى بدأت أنسى الأمر مع الساعات الأولى من اليوم ..

★ ★ ★

وفي المستشفى بدأت جولة المرور مع ذلك الطبيب
المقيم الذي نسيت اسمه ، ولكن له أذنين حمراوين
كالدّم ، وهو عصبى كقاتل جالس على الكرسي
الكهربائي في (متشيجان) ..

سألته عن الأحوال فقال ، وهو ينظر لمرضة
تمزح مع صديقتها :

- « كل شيء على ما يرام .. إن حالة هبوط القلب
قد تحسنت كثيراً .. لقد فعلت كما طلبت بالضبط .. »
- « عظيم ! »

لا ليس عظيمًا على الإطلاق .. لأننى لم أطلب منه
أى شيء بخصوص أية حالة أساسًا .. دعك من
كونها حالة هبوط قلب .. لهذا سألته والفار (يلعب فى
عبي) كما يقولون :

- « ماذا أعطيتها ؟ »

- « كما طلبت تمامًا ! »

قالها فى فخر وهو يتقدمنى إلى العنبر ..
لم يفسر الأحقق شيئاً .. ولم أجرو على سؤاله ..
ودخلنا لنرى أمامنا ألّعن حالة فقر دم رأيتها فى
حياتى .. امرأة فى الثلاثين من عمرها ، صفراء كالْموز ،
تجاهد كى تلتقط أنفاسها .. والتشخيص واضح دون
جهد كبير .. هبوط فى القلب ناتج عن فقر دم
رهيب ..

دنوت من المرأة وسألتها فى شك :

- « هل أنت متأكدة من أنك تحسنت ؟! »
لو كانت أسوأ من هذا أمس ، فمن المؤكد أنها
كانت ميتة .. فلا يوجد أسوأ مما أراه أمامى .. لكنها
قالت وهى تلهث :

- « حمدًا لله ! أشكرك على رعايتك .. لى .. لى ... »

قال الفتى فى حماس وهو يربّت على ذراعها :

- « لو لم يمر د. (رفعت) ها هنا مصادفة فى
العاشرة مساءً ؛ لكان من العسير أن تنقذك .. »
حقًا .. يا لى من عبقرى شهم ! المشكلة الوحيدة
هى أنتى لم أغادر دارى طيلة أمس .. أترانى جنت ؟

أنا واثق من أنني كنت جالساً في شقتي أنتظر ذلك
الـ (رفعت إسماعيل) الذي لم يأت
فهل أكون فعلتها دون علمي ؟
قالت المرأة كأنما تزيد حيرتي :
- « حفظه الله » لقد ظلّ جوارى ساعتين كاملتين .. »
قال الفتى بدوره :

- « كان لديه موعد في التاسعة لكنه - مشكوراً -
قرر إلغاء الموعد هاتفياً ليظلّ بجوارك »
وانهمرت عبارات المديح لى .. وأنا استعير بأن رأسي
يتحول إلى مستشفى مجاتين كنهم يصرخون ويصخبون
في ان واحد ..

هاتفياً ؟ (هو) اتصل بي أمس وقال إنه لن
يستطيع الحضور بسبب ظروف العمل . أي عمل ؟
كان ها هنا ينقذ حياة هذه المريضة وهو جهد
استحق عليه الثناء واستحق غيظي ..

من هو هذا المدعى ؟ ماذا يريد بالضبط ؟ وما الذي
يحاول قوله ؟ وهل من الممكن الخط بيني وبينه إلى
هذا الحد ؟

مستحيل .

يوجد احتمال واحد هو أنني جننت .. وأتنبأ أفعل
أشياء لا أدري ما هي .. هذا يحدث كثيراً جداً ولن يكون
غريباً أن يحدث لى .. لست ممن لا يتصورون أن
يجنوا .. كل إنسان قابل للجنون .. ولا أحد معصوم ..
وكذا يمكن - دون جهد كبير - أن أتصور نفسي
ها هنا في المستشفى ، أنقذ هذه المرأة البائسة من
توقف قلبها ، بينما عقلى الباطن هناك في داري
يتخيل أنه ينتظر شبيبها له .
تباً .. إن حالتي سيئة حقاً !

★ ★ ★

وقد ازداد الأمر سوءاً حين دخلت قاعة الدرس .
كان هناك عدد محدود - حوالي ثلاثين - من الطلبة ،
يجلسون في تعاسة بانتظار تعذبي لهم بساعتين من
الملل .. وفي مؤخرة القاعة كان هناك طالبان يثرثران
وقد غطي كل منهما فاه بكفه حتى لا ألاحظه . وهو
مشهد وجدت ألا داعي لأن أعلق عليه . كما كانت
هناك طائفتان تتبادلان كتابة أشياء في دفتر
المحاضرات ، ثم تناولها كل منهما لصاحبيتها .. إنها
نوع من المحادثة المكتوبة لا يمكن ألا ألاحظها ..

كلها اسنيب عتيقة جدا طالما لجئنا اليها في صباتنا . وأكرد أن أعلن احتجاجي عليها لمجرد أنني من يقف وراء المدفع هذه المرة .

وعلى لوح الكتابة العتيق الذي تشقق خشبه . كتبت بقطعة الطبستور وبخط عريض (الأورام المتفاوية) . وهنا سمعت هممة . .

نظرت لهم في تساور فبادلوني النظر في حيرة - « هل ثمة مشكلة ما ؟ »

لم يقل أحدهم شيئا . فبدأت أتكلم بعدما سكنت الهممة :

- « اليوم نتحدث عن نوع من الأورام التي تصيب الخلايا المتفاوية ونحن مدينون بالكثير ما نعرفه عن هذا الموضوع للعالم (هودجكين) الذي . . »

هنا تعالت الهممة من جديد لا أفهم . هن فيما أقول شيء بذيء لاسمح الله " أم ان ؟

هنا نهض أحد الطلاب مستجمعا شجاعته الأدبية ليقول ..

- « سيدي لقد شرحت لنا الموضوع ذاته أمس ! »

- « أنا ؟ أمس ؟ »

- « نعم . حتى موضوع اننا مدينون لـ (هودجكين) و كل شيء »

ورأيتهم يتبادلون النظرات البسمة .

فيما بعد قل (علاء) - أحدهم - إن الأمر بدا لهم كأنه شريط سينمائي يعاد تشغيله من جديد . ذات الوقفات والسكبات والخط ذاته وكن رأيهم هو أنني أحفظ الموضوع كما يحفظه طالب في حصة المحفوظات وبطبيع لم يتخيلوا ان الموضوع لم يكن حاضرا في ذهني . وأني كنت أرتبه وأنا أتكم

أي أنني لم أكن استقررت بعد على ما سأقول .

ثم ات برد فعل معين ، بل مسحت لوح الكتابة بقطعة من القطن .. وكتبت عنوانا آخر بخط عريض وبدأت أتكلم ...

هذه المرة لم يصدر أحدهم هممة ..

★ ★ ★

في داري - بعد كل هذه الاحداث - قررت أن أغفو قليلا . فلربما إذا صحوت من النوم وجدت ان كل هذه هلاوس من عقل مرهق .

وتهيات للنوم حين دق جرس الهاتف ...

هرعت حافى القدمين لأرد .. يجب منع المصيبة القادمة التى يدق الهاتف منذراً بها فلا بد من واحدة كما تعلمون ..

سمعت صوتاً أنشويا ذكرياً يقول :

- « هاللو ! د. (رفعت) ؟ »

- « اعتقد انه أنا وإلا فبيتى مسكون »

- « أنا (كاميليا) ! »

وهنا استعدت الاسم الذى نسيته لفترة طويلة .. ربما منذ الكتيب الحادى والعشرين .

إن القارئ يذكر - دون شك - د. (كاميليا) أستاذ الفلسفة ، التى حاول د. (محمد شاهين) أن يجعلنى أتزوجها ، ونمت بيننا صداقة لا بأس بها . إلى أن اتضح لى أنها ليست (كاميليا) لكنه مخلوق طيفى يلعب دورها ببراعة ..

لقد سادت المودة بينى وبين (كاميليا) بعد هذا اللقاء .. وانتهى سوء التفاهم بيننا . وكانت بيننا مكالمات هاتفية طويلة تحدثنا فيها عن كل شيء يمكن أن يتحدث فيه رجلان ...

لماذا تبسم بخبث ؟ بالطبع لم نتحدث فيما تفكر فيه .. فهى أنضج وأنا أحكم - أو أغبى - من أن أقع فى الحب ولو فعلنا لبدأ الامر سخيلاً إن (كاميليا) هى صديق راجح العقل .. وتملك كل مزايا الرجولة النفسية ولن أقول الشكلية حتى لا يتهمونى بالوقاحة ..

قلت لها وأنا اتعاب :

- « يسرنى أن أسمع صوتك يا كaaaaاآه . مينيا »

ثم أضفت فى حذر :

- « منذ متى كفتت عن النوم عصراً ؟ »

قالت فى رزاة جعلتنى أوقن أن شيئاً ما فى الطريق :

- « لم أستطع النوم . إن الأفكار تصطرع فى

ذهنى .. والسبب أنت ! »

- « أنا ؟ »

لو كانت تتصل بى عصراً فتحرمنى من نوم القنولة ، لتصارحنى بأنها تميل لى ، فمن المؤكد أنها فقدت قطاعاً لا بأس به من عقلها ولكن دعنا نر

قالت بنفس الصوت الرزين :

- « طبعاً .. لقد بلبل عرضك أفكارى ! »

- « أى عرض ؟ »

- « لا تتعذب ي (رفعت) طبعاً عرضك الخاص

بالزواج منى ! »

★ ★ ★



٣ - وأشباه مريبة هناك..

إن المرء لا ينقى نفسه كل يوم .. ولهذا تجدنى
مبتلاً إلى نظرية الجنون لأسباب يطول شرحها ..

★ ★ ★

هرب الدم من يافوخى ويمكن القول - عملياً -
إنى بدأت امر بأعراض الصدمة كما تصفها الكتب
الطبية : الدوار .. ضربت القلب السريعة . العرق
البارد ثم ذلك الشعور المقيت بأن الحياة تنسحب
منى ..

لكنى وجدت صوتاً واهناً استطعت أن أجبره على
سؤالها :

- « أنا طلبت ... الزواج ؟ »

تنهدت كأنما تجد الأمر سيئاً .. وقالت :

- « أمس .. فى الواحدة صباح .. هل نسيت ؟ »

هنا وجدت من الحكمة ألا أشعرها بشيء غير
عادى .. فسألتها بعسر :

- « و .. وما رأيك ؟ »

- « ما زلت حائرة .. »

وأردفت بعد برهة :

- « كنت بالنسبة لى دوما مجرد صديق ذكى .

ومن العسير أن أفكر فيك من وجهة نظر أخرى .. أنت

تفهم قصدى .. أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. بلى ! »

- « لكنى أحاول ! »

هنا ارتجف قلبي هلعاً ..

أتراها ترفض وتحاول ألا تجرح - كما تتوهم -

مشاعرى ؟ أم هى فعلاً تحاول ؟ أم هى قبلت وتنتظر

منى مزيداً من التوسل ؟

قلت لها وأنا أرى بقعة سوداء تتضخم أمام عيني :

- « حاولى يا (كاميليا) .. حاولى ! »

- « هذا عسير كما تعلم ! »

- « أعلم .. ولكن حاولى .. »

فكرت قليلاً .. ثم قالت كأنما تكلم نفسها :

- « لم أكن قط كالثفيات الأخريات .. كنت دوماً

جادة صارمة .. ولم أتزوج لأنى لا أريد أن أفقد عقلى

وسط أواني المطبخ ورائحة السمن ..

لكنى - لو قررت أن اتخذ فارس أحلام لى - لكان
بالتأكيد يختلف عنك .. »

هذا هو ما خطر لى كثيراً ..

إن فارس الأحلام الأصلح النحيل الذى يسعل طيلة

الوقت ، ليبداً غريباً حقاً حتى بالنسبة لسكان

(المشتري) إن كان له سكان ..

أنا كذلك تختلف فتاة أحلامى كثيراً عن (كاميليا) ..

لكنى لن أصارحها بذلك . سأحاول تفادى هذا

الموقف المحرج بكياسة وحكمة .

قلت لها بصوت العاشق الجريح :

- « أرجوك أن تحاولى يا (كاميليا) . سأعطيك

فرصة .. »

وتشاءبت واعدت نفسى بنومة مريحة تزيل إرهاقى

الذهنى .. فقط فنتنته هذه المكالمات بأسرع ما يمكن ..

وأردفت وبرودة البلاط تقفل قدمى العاريتين :

- « لا تقولى ذلك الآن .. وداعاً .. »

- « وداعاً .. »

قنتها فى عدم رضا كانت تريد توسلاً حاراً ورجاء ..

وربما تهديداً لها بأن أفنها وانتحر إذا رفضت ..

هذا هو م يرضى كبرياء أنوثتها . اما أن اتكلم بهذا
الاسلوب العقلاني البارد فأمر أقرب للإهانة ..
وضعت السماعة . وهرعت لأندس تحت أغطية
فراشي

الآن احول فهم م سمعت ، فيما بعد ، فيما بعد .
حينما أصبحوا من النوم مرتب الذهن ، سافكر منيا
- وأنا أرشف قدح من القهوة - في كل هذا .

★ ★ ★

في المساء دق جرس الباب حملاني مصيبة جديدة
فتحتة لاجد (عزت) - بوجهه الكئيب المكفهر
الترابي - يقف على الباب ، وقد رسم على سحنته
ابتسامة رقيقة (أعوذ بالله) ..
كان يحمل في يده شيئا ما ملفوفا في قطعة من
الورق ، وتم ربطه بحبل ..

وقال لي في مودة وهو يتراجع لتوراء خطوة :
- « مرحب (رفعت) . عسى ألا أكون قد
أزعجتك .. »

- « أنا لا أجد أي إزعاج في أن يقرع أحدهم
جرس بابي عند منتصف الليل .. »

هذا من حقه كما تعرف .. »

- « وعلى العموم لن أطيل عليك .. »

ووجدته يضع نفقته المرعبة في يدي .. ويقول
وهو يبتعد :

- « هذا هو م طبيبته مني إنه أقل ما يجب
تحدثك .. »

ثم تقلص وجهه في تواضع ابده واردف .
- « الحق أنني لم أتوقع أنك تفهم في الفنون إلى
هذا الحد .. »

هنا بدا الأمر واضحا لي ..

لا داعي لمزيد من الاسئلة (أنا) زرتة أمس
مساء وقضيت معه ساعة او ساعتين ولا بد أنني
أبدت ابهرا متديدا بأحد تماثيله المرعبة ، وطلبت
منه ان يهديه لي كل هذا واضح ولا داعي
للاستفسار عنه ..

عدت نشقني ووضعت النفقة على مائدة الطعام ،
وقضعت الحبل بسكين الفكهة . وكان التمثال
ينتظرني تمثال يمثل سحنة فشنت في التظاهر
باتها بطيخة . او جزيرة مصابة بسرطان البنكرياس ..
يبدو ان الأخ (عزت) بدأ يتجه إلى النحت الحديث ..

وقد جعلنى هذا أدرك للمرة الأولى مدى جمال
وعبقريه تماثيله القديمة ..

إن هناك من يسخر منى . من المستحيل أن يروق
هذا التمثال لإنسان عاقل ..

★ ★ ★

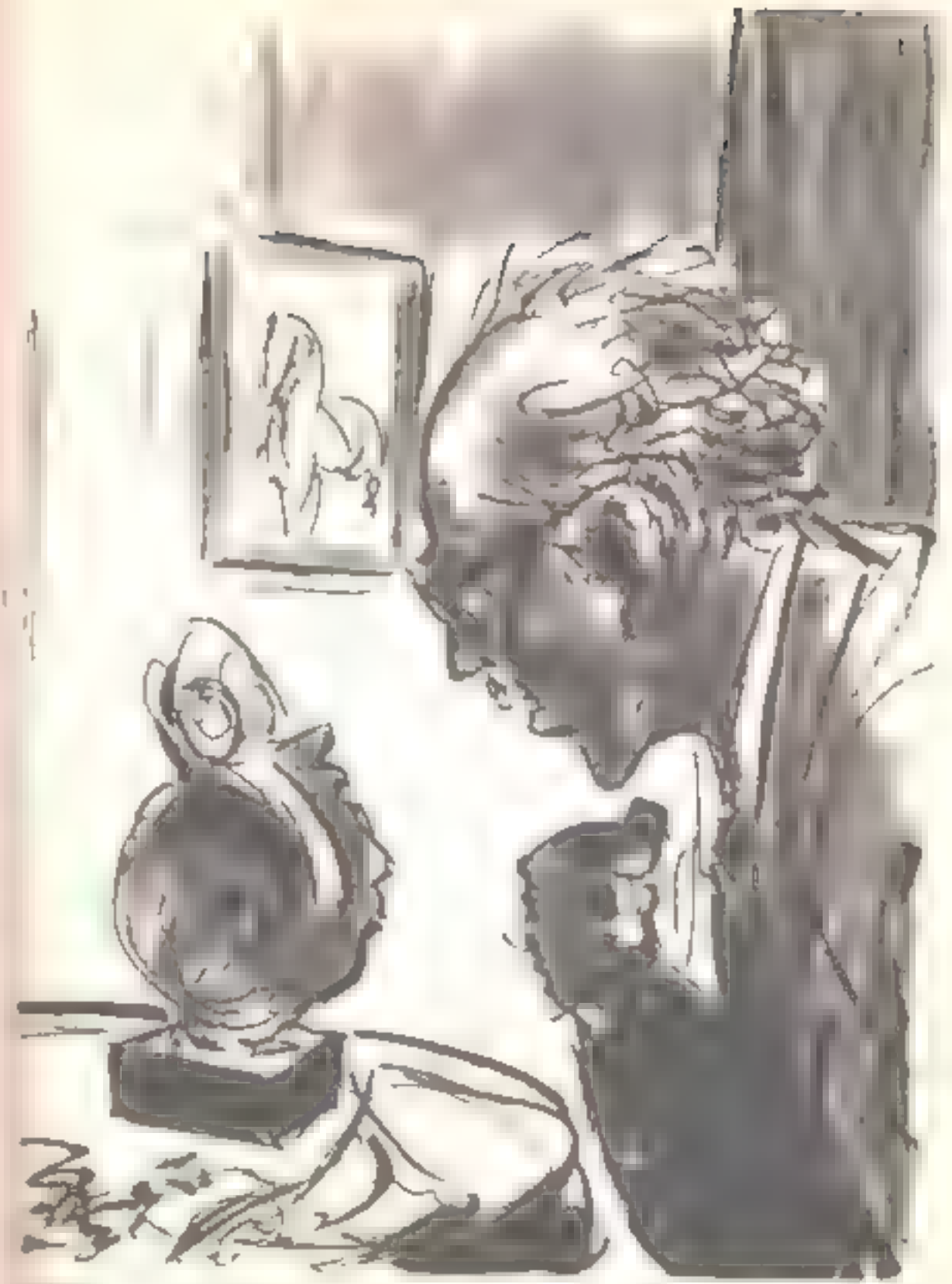
وهكذا - لكم أن تراهنوا - جئست أتمثل التمثال وأفكر
فى معنى كل هذا ..

يمكننى رسم خط سير لا بأس به لهذا الـ (رفعت
إسماعيل) الموجود فى كل مكان . انه نشيط جدا
نشط إلى حد مرعب ...

لقد قاد سيارتى . ثم قضى بعض الوقت مع
(عزت) ، واختار هذا التمثال ثم ذهب إلى
المستشفى وأنقذ حياة مريضة . وحاضر الطلبة عن
مرطان النصف وإيا ما كانت شخصية هذا النصاب
فهو يفهم جيدا فى أمراض الدم .
ليس هذا فحسب ..

بل إنه اتصل بالذكورة (كاميليا) وطلب يدها نيابة
عنى !

لقد قضى الوغد يوما حافلا مليا بالإجازات ، بينما
أنا غارق حتى أذنى فى حسابات معقدة ، وحيرة غبية .



وكان التمثال ينتظرنى .. تمثال يمثل سحلية فشلت فى النطاء
بأنها بطيخة ..

والغريب انه يمارس كل هذا بعيدا عن بيتي .
يجرى الاتصالات الهاتفية ، ويحاضر ويعالج ويعجب
بانفن الحديث كل هذا في وقت لا أتوقعه فيه .
امس كان المفترض ان احاضر الطبية لكنني
اعتذرت وهكذا خلا المكان له كي يحاضرهم هو .
ويعتذر عن الاعتذار ..

ولم يكن مفترضا ان امر على المستشفى ليلا
لكنه فعلها هو .. وقام بما قام به وعرف انني لن
أزور (عزت) لاني سانتظر في شقتي وهكذا زار
هو (عزت) وقضى معه ساعة ممتعة ممتعة
لـ (عزت) طبعا ..

من هو ؟ من هو ؟

★ ★ ★

حتى هذه اللحظة كان دور الرجل لا يزيد على أداء
بعض المجاملات عني وهو امر يسرتي أنا الذي
لا أطيق المجاملة ..

لكنني بدأت أشعر بخطورة الامر حين توجهت إلى
البنك صباحا ، لأنهي ورطة مادية مزمنة يعرفها كل
من يتقاضى راتبه أول الشهر مثلي .

هنا بدت الدهشة على وجه الصراف ، وكان هذا
كفيا جدا لاعرف انني قد مررت بالبنك امس وقمت
بسحب ألف جنيه والتوقيع هو توقيع ذاته بالطبع
كلا . لا داعي لإثارة جنية . أريد مبلغا آخر من
فضت .

وغادرت البنك مخدر الأعصاب .
ان الامر أخطر مما ظننت فما دام يتعق بالنقود
- انشء الوحيد القادر على ان يولمني - فلم يعد
تجاهه ممكنا . ان ألف جنيه لمبلغ فادح في عام
١٩٧٠ .

ماذا ينوي هذا النصاب عمله بمالي ؟ وهل يستمر
في خرابي على ذات الوتيرة إلى الأبد ؟ أين هو ؟
ولماذا هو مختلف حتى هذه اللحظة ؟

★ ★ ★

في طريق العودة عرجت على الجزار لأبتاع لحما .
لست أكلولا لكن قطعة لحم من حين لآخر قد تنعش
روحي . ألست من رأيي ؟

كان الرجل يقضى ساعات فراغه في عذ المال ..
يتكديسه في الدرج ، والتلويح بتلك السكين هائلة

الحجم ، والحديث عن الرضا بالقليل .. فهذا هو
المقسوم لنا ..

قال لي حين رانى أتأمل اللحم المعلق فى رهبة :
- « حمد الله على السلامة يا دكتور ! أرجو أن
تكون (قطعية) أمس قد راقَتْ لك ! »
نظرت له فى غباء

ثم فهمت على الفور فلم أحتج إلى مزيد من
الاسئلة .

حييته شاكرًا على روعة ذوقه ، وهممت
بالانصراف ، لكنه استوقفنى فى أدب وهو يتوج
بالسكين :

- « لم أنقاص ثمنها بعد وعدتنى بالدفع غدا ! »
ثم فرك يديه فى ترقب متلذذ :
- « وما نحن أولاء فى الغد ! »

لا جدوى من محاولة التظاهر بالحيرة أو عدم الفهم
نقدته ماله ، وأنا أتمنى لو تحولت نظراتى إلى
(مترليوز) يثقب جسده وجسد كل من أراه فى
هذه اللحظة ..

وانطلقت بالسيارة وقد فقدت شهيتى للطعام نهائيا

★ ★ ★

لكن اللحم كان فى ثلاثتى !

قطعة كبيرة حمراء تستقر هناك ، وقد اقتطع منها
جزء صغير .. وأدركت - حين نظرت إلى حوض
المطبخ - أن هناك من طهى بعض الطعام فى أنيتى ..
لقد تناول أحدهم الطعام فى شقتى ظهر اليوم ، ربما
منذ نصف ساعة لا أكثر .. إن الموقد مازال دافئا ..
كما أنه ليس من هواة غسل الأطباق كما هو واضح .
رحت أبحث فى كل أرجاء الشقة عن متسئل لكنى
لم أجد ..

لقد فرغ من تناول طعامه وغادر المكان قبل
وصولى بأقل من ساعة ..

على أن بحثى الدءوب استطاع أن يجد رزمة من
الأوراق المالية - أقل من ألف جنيه - على (الكومود)
جوار فراشى ..

هذا هو المبلغ الذى سحبه من البنك .. وذاك هو
اللحم الذى اشتراه من الجزار أمس . إنه ليس لصا ..
ولا يتلاعب بى ..

كل ما هناك مشكلة صغيرة جدا .. إنه يعتقد أنه أنا !

★ ★ ★

٤ - جنون ..

حقاً لا ينقضي المرء نفسه كل يوم . لكن نيت ذلك ممكن لاخبره برأى الحقيقى فى هذا السخف .

★ ★ ★

قال د (محمد إبراهيم) وهو يعمل غليونيه ويسترخى فى مقعده :

- « منذ أن دعوتنى إلى (كفر بدر) لأقحص أختك (رضا) - موضوع النداهة إياه - ثم نلتق ثانياً ظننتك تعادى الطب النفسى .. »

قلت وأنا أرمق سقف الغرفة :

- « الحق أننى لا أتق بالطب النفسى البتة . اعتبره نوعاً من الفلسفة الراقية . إنه ضرب من الطب لا يسمع بالمسماع . ولا يرى تحت المجهر . ولا يقاس بالترمومتر . والقياس فيه مستحيل . »

- « أشكرك لصراحتك . لكن الطب النفسى له مقاييسه .. »

٤٠

- « هل يمكنك ان تذكر لى عدد السرايين التى تغذى (الانا) ما هو الفارق بين اشعة المبخ فى حالة الاكتئاب التفاعلى والاكتئاب الداخلى ؟ ما هو تحليل الدم الذى يثبت إصابة المريض بـ (البارانوب) ؟ »

ابتسم . وراح ينفخ فى غليونيه بضع نفخات ملأت الغرفة بالضباب .. ثم قال :

- « ما دمت تؤمن بتفاهتنا الى هذا الحد . فلماذا تلجأ إلينا ؟ »

- « لأنكم - على الأقل - تعرفون الجنون حين ترونه .. »

راح يمارس أعمالاً معقدة فى الغليون . وهذه هى مشكلة تدخين الغليون الدائمة . إنه يتطلب جهداً أكثر مما يتطلبه محرك سيارة قديم . وكل من يمسكون به يقضون الوقت فى أعمال عديدة ليس للتدخين من بينها

ثم قال بعد ما انتهت معاناته :

- « أنا لا أراك مجنوناً يا د (رفعت) والوساوس لا تعنى الجنون بالضرورة . وإلا لما عاد فى الكون عاقل .. »

- « أهى وساوس أم ضلالات ؟ »

- « إنها الاثنان معا لكنك تعرف ان هذا وهم ..
وتجاهد كي تتخلص منه . هكذا يمكنني ان أساعدك .. »
سأنته وأنا انظر إلى السقف من جديد :
- « هل يمكن ان تكون لى شخصية اخرى ؟ »
- « لا أرى ما يمنع .. »
- « دون أن أعلم أنا بذلك ؟ »
- « هكذا القصة دائماً .. »

ثم أخرج أداة لتسليك الغليون ، وعشرة أنواع من
الإبر والمطارق والأسلاك وراح يواصل كفاحه مع
الغليون .. قبل أن يضيف :
- « أنت هادئ متحفظ ميال للوحدة .. وعققت الباطن
لا يحب هذا .. لهذا تحرر جزء من عققت اسمه
(رفعت إسماعيل) . هذا الجزء نشط متوثب إيجابى
يفعل كل ما لا تجرؤ على عمله .. »

- « نعم يطلب يد امرأة .. ويشترى عشرة
كيلوجرامات من اللحم مرة واحدة ..
ويعجب بتمثل قبيح لدى جارى . »
ثم عدت أسأله ، وقد بدأ التفسير لا يروق لى :
- « لحظة . وهذا الجزء يتصل بى هاتفياً ؟ »

- « هنا قد تكون واهماً .. »
- لقد سمع كثيرون صوته عبر موجات الاثير
- « هنا قد يكون هناك من يداعبك دعابة قاسية . »
ثم نفخ فى الغليون نفختين .. وسحب سحبتين من
الدخان .. ثم عاد يسكب التبغ فى مطفأة أمامه ،
ويحاول ملأه من جديد بالضباق وقال بلهجة
مسرحة :

- (رفعت) يا صديقى العجوز . إن من يوقع
توقيعت ويمك مفاتيح دارك ويبدو مثلك ، حتى امام
أدنى معارفك لا يمكن ان يكون شخصاً آخر . إنه
أنت يا عزيزى .. أنت ! »

- « أنا ؟ »

- « أنت ! »

وراح يسلك الغليون بأداة تشببه دودة الأرض
وقال دون أن ينظر لى :

- « هاك ! حاول أن تغير المكان قليلا اتبع
النصيحة القديمة .. اترك القاهرة العجوز بمشاكلها
التي لا تنتهى واذهب إلى . إلى الإسكندرية مثلاً ..
هناك مؤتمر لأمراض الأعصاب بعد أسبوع .. ولسوف
يعقد هناك .. ويمكنك أن تدون اسمك فيه .. »



عدت أسأله :

« وأترك شقتي ها هنا لذلك الصاب ؟ »

« لكنني طبيب أمراض دم .. ولا ... »
 « لنقل إنك متحمس للعلم مهما كانت فروعه »
 نظرت له هنيهة . وثمرة الأولى لم أجد الفكرة
 سخيفة

عدت أسأله :

« وأترك شقتي ها هنا لذلك الصاب ؟ »
 « لا يوجد نصابون . لا يوجد سوى عقلت
 الباطن وأولى خطوات العلاج هي ان تعرف ذلك »
 شكرته ونهضت لاتصرف لكنه كن منهمكاً مع
 الغليون فلم ير يدى الممدودة كي يضافها . فنت له
 فى أدب :

« أ .. هل تريد رأيي ؟ »

« هه ؟ »

« اقترح ان تتخلص من هذا الغليون قبل ان
 تصاب بجنون ذهولى . أو اكتب ضمورى . أو
 أى اسم من هذه الأسماء التى لا تنتهى ' »

★ ★ ★

الليلة أسافر إلى الإسكندرية ..

ساقضى أسبوعاً فى (بنسيون) كذنت الذى كنت
 أمضى فيه ليلتي عندما كانت (هويدا) خطيبتى .

بعد هذا يمكنني ان أقرر حضور المؤتمر من عدمه ..
 ان المؤتمر ذريعة مناسبة اقنع بها نفسي بأنني لم
 أهرب من القاهرة ..

لم تكن هناك مشاكل بصدد طلب إجازة . لأنني وجدت أن هناك من طلبها بالفعل ' بانطبع هو (أنا) .. وهكذا وفر على عناء الإجراءات الإدارية .
ثم شرعت أحزم حقيبتى ..

لقد ترك الوغد أبوابا كثيرة مفتوحة في دنيائ ..
ومنها باب (كاميليا) وسواه .. ليس بوسعى أن
أغلق تلك الأبواب الآن لهذا سأتركها كما هى وأفر
بضعة أيام .. وعندما أعود قد أكون مت أو مات هو
أو مات الجميع ..

★ ★ ★

ولكنى - حين بدأت فى إعداد حقائبي - وجدت أن
عددا لا بأس به من قطع الثياب ليس موجودا ..
البذلة كحلية اللون على سبيل المثال - وأنتم تعرفون
حبي لها - ليست هنا والقميص السماوى . وربطة
العنق الرمادية .. وبعض - إحم - بعض الثياب الخاصة
كلها لم يعد لها وجود هنا ..

كان رفيق بي فترك سيرتي لم يأخذني لحسن
الحظ

امامى رحمة قيادة مرهقة نكنى احبها انها
تذكرنى بايام خطبة (هويدا) . ايام البراءة الاولى
حين كنت احسب من حقى ان احب وان اتنهف
على أى شىء فى هذا العالم ..

★ ★ ★

وفى الثانية عشرة مساء دخلت الى المدينة
الحسنة كانت موشكة على النوم نكنها فتحت عينيه
المنهكتين وعرفتني فبتسمت وراح عنها النعاس
- « (رفعت) ايها العجوز ' يائه من دهر ' »
- « أعلم ذلك . واعتذر عنه .. لكك تحمين لى
ذكريات سعيدة الى حد أنها شديدة القسوة »
- « لا عنيت حاول ان تنم قليلا وبعد هذا
نتحدث .. »

- « شكرا هل ما زال بنسيون (السعادة)
موجودا ؟ »

- « بالتأكيد . يمكنك المبيت فيه ما لم تكن الذكريات
هناك أكثر من اللازم .. »

وهنا تذكرت شيئا فسألت شوارع المدينة :
- « بالمناسبة هل رايت من يشبهنى اليوم ؟ »
- « يشبهك ؟ من هذا النعس ؟ إن واحدا فقط يكفى
العالم .. »

- « هذا هو رأى .. »

وكما أخبرتنى (الاسكندرية) : وجدت البنسيون
كما هو ، بذك المصباح الخافت جوار مدخله واللافتة
التي يمكن قراءتها بكثير من العسر ووجدت الخادم
ذاته يفتح لى االباب ويذكرنى على الفور .
بعد كل هذه الأعوام ؟

قل وهو يضحك . ويفرك النعاس عن عينيه :
- « أعوام ؟ أنا أتحدث عن مرورك هنا ساعة أذان
العشاء . اليوم . هل نسيت ؟ كنت مترددا بشأن
الاقامة هنا .. يبدو أنك لم تجد فندقا به غرفة خالية .
إن هذا يحدث . »

اتزمت الصمت وقطبت جبيني
حتى هنا اجد الشخص ذاته . وكالعادة سبقتى ببضع
ساعات . إن الأمر لم يعد قابلا لتفسيره بدعابة أو
موامرة أو حتى الجنون .. فما تفسيره إذن ؟

أخرجت بطاقتي الشخصية .. ودفعت حساب الليلة ..
ثم أخذت مفتاح الغرفة واتجهت إليها بخطوات من
يألف الدار ..

وأغلت باب الحجرة على .. ثم رحت أجول في
الحجرة أتأمل أثاثها الرخيص النظيف .. إن نظافة هذا
البنسيون هي أهم ما جذبني إليه .. نظافة لها رائحة
الفسيل الذي جمعه من على الحبل في يوم مشمس .
لكني لم أكن أنظر إلى شيء بعينه .. كنت أدعو
الله في سرّي ..

رباه ! لا تدعني أفقد عقلي
إبنى لفى مأزق مخيف ..

★ ★ ★



٥ - موقف محرج ..

كنت أقول إذن إن المرء لا يلقي نفسه كل يوم ..
لأن المرة الأولى هي الأخيرة غالباً . وبعدها يجد
نفسه في المصحة العقلية ..

★ ★ ★

في الصباح عرجت على مطعم فتناولت وجبة إفطار
لا بأس بها ، وعند الظهيرة اتجهت بسيارتي إلى
مديرية الأمن ، لأطلب لقاء (عادل) .. لقد صار
عقيداً منذ فترة ، وهو ما يفسر الشك الذي عوملت به
أولاً .. فلاحترام الذي عوملت به بعد ذلك ، حينما
طلب أن يوصلوني إليه ..

وصعدت في الدرج وسط هذا الجو البوليسي الذي
توتر له أعصابي .. حتى وصلت إلى مكتبه طرقت
الباب قبل أن يسألني الجندي الواقف على الباب عن
غايتي ، فسمعت صوت (عادل) الجهوري يدعوني
للدخول

كان وسيما كعهدى به . وان ازدادت الشجيرات
البيضاء فى فوديه . وكان يرتدى ثيابا مدنية
القميص وربطة العنق دون وسترة كما يفعلون جميعا
فما إن رانى حتى نهض واقفا . وصرخ وهو
يفتح ذراعيه :

- « (رفعت) ! اذن حر الخراب بالمدينة ! »
تعاقتا . وأشار بطرف الى الجندى الذى كان
يحاول اللحاق بى محتجا . ثم سألنى عما اترب
فطنبت فنجانا من القهوة . أشار للجندى كى يجنبه لى
لم يكن على علم بقدومى .. لكنه كان ودودا جدا
أنا أعرف أن (عادل) يحبنى حقا . حتى برغم ما كان
من موضوع (هويدا) شقيقة زوجته صداقة
الصبا هى أمتن انواع الصداقة واخلصها . ومن
العسير أن تتزحزح . لانها صداقة روحين لا مجال
فيها للماديات ولا النفاق ولا المصالح المشتركة

سألنى وهو يجلس جوارى على مقعد امام المكتب :
- « لماذا عدت ؟ هل تبحث عن شبح جديد ؟ »
- « بل أنا هارب هارب من نفسى .. بالمعنى

الحرفى للكلمة ! »

انفجر يضحك كدابه فى انضحك من أعماق أعماقه .
وقال :

- « كنتا يهرب من نفسه .. هل نسيت فلسفتك
السقيمة ؟ »

- لا مجاز هنا .. الهرب من النفس هو الهرب من
النفس .. قلت لك إن هذا هو المعنى الحرفى »

عاد يضحك وضربنى على ظهري ضربة فجرت
شريائى الرلوى .. وقال :

- « إن فهم هذا كله قد يكون مسليا . لكن لا وقت
لدى لذلك .. »

ونظر فى ساعته .. ثم قال بلهجة لا تناقش :
- « لا ارتباضات لديك طبعا . ستتناول طعام الغداء

فى دارى صه ! لا تقل المزيد ! انتهى ! »
ورفع سماعة الهاتف وادار القرص .. قبل أن أتمكن

من الاعتراض ، وسمعته يقول - لـ (سهام) طبعا -
إننى مدعو على الغداء . وأتينا قادمين بعد نصف

ساعة . ثم وضع السماعة واتسعت ابتسامته أكثر ..
صحت فى زعر :

- « لكنى لن أقابل (سهام) بعد ما ... »

تقلص وجهه معبرا عن تفاهة ما أريد قوله :

- « كل هذه الأشياء قسمة ونصيب .. لقد مر دهر على هذا الموضوع . و (هويدا) سعيدة الآن مع زوجها . إن آخر شيء تعتذر عنه يا (رفعت) هو عدم الزواج من فتاة ما . لأن أحدا لا يعتذر عن خدمة عظيمة كهذه ! »

لم أفهم عبارته الملتفة أولا . ثم فهمتها فاحمر وجهي .. يريد القول إن أفضل معروف قدمته لـ (هويدا) هو أنني لم أتزوجها . لهذا أستحق كل ترحاب وتكريم !

- « شكرا .. »

وأحضر لي بعض مجلات الشرطة إياها . وطلب مني أن أتسلى بها على حين يفرغ مما بين يديه من أوراق .. وأشعل لفافة تبغ واتهمك في العمل ..

رحبت أتصفح المجلات - التي هي أقرب للنشرات الدورية - في غير اكتراث . إلى أن وقعت عيناى على اسمى .. بالتأكيد اسمى . وكان الموضوع عن التبرع بالدم وكيف أنه عمل جليل .. ويبدو أن كاتب المقال طلب رأيي باعتباري من المختصين بالموضوع .. غريب !

رحت أقرأ السطور بعين زائغة :

وقال د . (رفعت إسماعيل) - ويرى د . (رفعت إسماعيل) - ويقترح د . (رفعت إسماعيل) .. إلخ ...
ها هي ذى أشياء قتها . واءاء أعلنتها . لكنى -
وائته يعلم - لم أفعل قط .. إن تاريخ المجلة يشير إلى
هذا الشهر .. أشهر الذي بدأ فيه الكابوس ...
أحسست بالرجفة تعاودنى . ورفعت رأسي أتأمل
(عادل) ..

هل أصارحه ؟ لن يفهم . ولو فهم فلن يجد ما يفعله .. إن الوضع كنه غريب غريب .. ولكن أية مصادفة هذه ؟

رفع وجهه قوى التقاطيع عن الأوراق ولمح المجلة في يدي .. فقال باسمنا :

- « آه ! وجدت مقالتك ؟ نسيت أن أهنئك عليها ..
إن أتراند (عماد) هو أخ صغير لي . وأنا الذي
رشحتك كي يستعين بك في هذا المقال . إنه أديب
أكثر من كونه رجل شرطة .. »

رفعت إصبعي مهتزا .. وأشارت إلى الكلام المكتوب
وقلت :

« أ .. أين أجروا هذا الحديث ؟ »

« هل نسيت بهذه السرعة ؟ لقد اتصل بك (عماد) هاتفيا في دارك وكتب ما تقول . ثم يرسل لك عددا من هذه المجلة ؟ »

« نعم .. إنها مفاجأة سرية حقاً »

وكدت ابكي غيظا وكمدا .

إن هذا (الآخر) يزداد نشاطا وشهرة يوما بعد يوم . إنه يتوسع في كل يوم وينتقم جزءا جديدا من عالمي حتى أوشك أنا أن أغدو ظلالة

من هو (رفعت) الحقيقي ؟ بتأكيد هو ما دام الأكثر حيوية وسرعة ..

هنا كان (عادل) قد انتهى من أوراقه . أو قرر إرجاء ما تبقى منها لغد ورأيت أنه يتناول سترته ليرتديها .. ويقول متجها إلى الباب :

« هيا بنا »

★ ★ ★

كانت (سهام) فائرة

أرضى هذا غروري إلى حد كبير ، فهي - على الأقل - قد خيبت ظن (عادل) ولم تنم يدي شاكرا على عدم زواجي من أختها ..

كان الطعام قد أعد على عجل لأنها لم تتوقع قدومي .

بعض (المكرونة) والبطاطس المحمرة ودجاجة لم تنضج تماما ، لأنها أخرجت من الفرن منذ ساعة واحدة ..

ولأن (سهام) فائرة ، لم تصدع رأسي - نحسن الحظ - بنطقوس المعهودة لدى البيت المصري

على غرار (نحن لا نترك طعام في أطباقنا) أو (لن نلج عليك فأتيت صاحب الدار) أو (دعنا نر ما إذا كنت بخيلا) ..

كان الأكل صامتا .. لهذا أحببته ..

ومن حين لآخر كان (عادل) يحاول تبديد الجو القاتم بمزحة سخيفة أو مزحةتين ، فكنت ابتسم ابتسامة متكلفة ، واختس نظرة إلى (سهام) لأجدها لا تبدى أي انفعال من أي نوع ..

وجاء (أشرف) ابنهما - هو الآن في العاشرة من العمر - ليقول شيئا لكن أمه زجرته بعنف .

وأمرته أن يعتكف في حجرته .

انصرف الطفل حائرا فأتانا بمثابة عمة . ولا يوجد ما يبرر أن

إنها شراسة إلى حد مبالغ فيه .. ثم لماذا
لا يشاركنا الطفل الطعام ؟ ولماذا تدفن وجهها في
طبقها وكأنها أقسمت ألا تتلقى عيناتنا ؟

الخلاصة ان الغداء كان فشلاً كاملاً ..
وشعرت بجبل من الجليد يعلو شينا فشينا ، حتى
ليوشك على خنقى وراءه ..

ورحت أبتلع المكرونة كأننى أنقى بها فى صفيحة
قمامة ، متعجلاً لإنهاء هذه الجلسة المؤلمة
(سهام) تبالغ .. تبالغ أكثر من اللازم ..

لو كانت (هويدا) مخطوبة لـ (أغاخان) ثم
فسخت خطبتها لبدا الأمر مفهوماً .. لكنى لا أرى فى
فقدائى ما يدعو لهذا الغضب المتعصب .

★ ★ ★

انتهينا من الطعام ..

هنا دق جرس الهاتف ، فنهض (عادل) ليرد ،
وهو يقول شيئاً عن الأعباء التى توشك على قتله ..
ظلمت و (سهام) على مائدة الطعام شبه الخاوية ،
والصمت يجلس معنا كصديق حميم ..

أداعب عظمة فخذ الدجاجة بطرف السكين ، باحثاً

عن كنمة يمكن قولها .. ورابع المستحيلات هو أن
تجد موضوعاً صالحاً للكلام حين تبحث عن واحد ..
أخيراً سألتها مبتسماً :

- « ألا تتويان ان تهديا (أشرف) أخا أو أختاً ؟ »
ساد الصمت هنيهة وهى تقلب المكرونة فى طبقها
شاردة .. ثم همست :

- « ربنا يسهل .. »
قالت متتهدة ، كأنما تضع مزيداً من الجليد فوق
الجبل بيننا

عدت أقول بعد قليل :
- « إن عشرة أعوام لفترة أطول من اللازم بين
طفل وآخر .. »

- « هذا ليس من شأنك ! »

كان هذا أقوى مما تصورت ..

صفعة معنوية هوت فوق خذى فاحمر .. ورحت
أتأمل عظمة الدجاجة فى طبقى باهتمام أشد .. حاولت
أن .. أعثر .. فقلت :

- « لم أقل هذا سوى دعابة لكما . لم أعن
ما قلته .. »

.. « أما أنا فأعنى ما قلته ! »

هنا فاض بي .. فلو لم أكن في دارها لهشمت
رأسها على الحائط .. ثم تسليت بعد الشرايين التي
تغذى مخها .. لكني تماسكت .. وقت ك (جنتمان)
يجد كل هذا غريباً :

.. « (سهام) .. أنا لا أفهم ما .. »

.. « مدام (سهام) من فضلك ! »

.. حسن .. أنا لا أجد سبباً لهذه المعاملة غير
المقبولة .. إن أية خطبة هي مجرد اختبار .. قد
ننجح فيه وقد نفشل .. وليس من الحكمة أن نكابر
فتكون زيجة تعسة .. إن فسخ الخطبة أبسط من
الطلاق على ما أظن .. »

.. « عم تتحدث بالضبط ؟ »

قالتها واتسعت عيناها في وحشية .. العينان
العسليتان اللتان تتوهجان بالنار عند الغضب ..
ومالت على المائدة وبصوت كالفحيح قالت :

.. « إذا كنت استقبلتك في داري ثانية ، فذلك إكراماً
لـ (عائل) .. ولأنني أعرف أنه يمكن أن يجن

ويرتكب جريمة .. ولكن لا تتصور لحظة أنني أفعل
ذلك من اجتك .. ولهذا فقط نأخبره بما فعلت ! »
.. « فعلت ؟ أنا لم أفعل لـ (هويدا) شيئاً ! »
أردادت عيناها توحشاً .. وصار وجهها أقبح وهي
تهمس :

.. « أنا لا أتحدث عن (هويدا) .. أتحدث عما
قلته لي صباح اليوم ! »



٦ - أخيراً نلتقي !

إن المرء لا يلقى نفسه كل يوم .. لهذا قد تنصرف هذه النفس بكامل حريتها ، ودون رقبة .. وهذا قد يكون خطراً .. خطراً أكثر مما تظن ..

★ ★ ★

« أنا قلت لك ماذا ؟ »

اندفعت الصرخة من حنقى .. ويبدو أننى وقفت :
أو أننى وضعت ركبتي على المائدة لا أعرف حق ما فعلته .. لكنه كان مجنوناً ..

قالت همساً وهى تضع سبابتها أمام شفتيه المضمومتين :

« صه ! لا فضائح من فضلك .. يكفيك ما كان

صباح اليوم ! »

عدت أسألها مستعملاً (أو كتماناً) أقل فى صوتى :

« أنا قلت ماذا ؟ »

مطت شفتيها فى اشمزاز .. وغمفمت :

« ما كان لك - أيها الحقير - أن تستغل غياب صديقك عن داره .. وتأتى لزوجته كى تصارحها بحبك .. أبعد كل هذه الصداقة ؟ أبعد كل هذه الثقة ؟ »
كانت تكرهنى حقاً .. تحتقرنى حقاً ..

وشعرت أننى أتلاشى تماماً .. لن تفهم شيئاً ولن تصدق شيئاً .. لقد أحيط بى حقاً ولم تعد الكلمات تجدى ..

هنا - غارقاً فى مجرور أفكارى مقيت الراحلة - سمعت (عادل) عائداً ..

لقد أنهى مكالمته . كان يقول أشياء وأشياء

« قلت لك إنها مهنة تقصف العمر » .. عساه لم يسمع .. عساه لن يعرف .. « كلهم لا يجدون سواى كى .. » . والخطيئة المرتسمة على وجهى تعلن لتكون كنه أننى حقاً فعلتها .. « .. لقد قتل زوجته لأنها عايرته بفقره .. » .. كيف أفسر شيئاً كهذا لأصدقته أنا نفسى ؟ » .. ثم سلم نفسه . ويقول .. «

الصديق الخائن .. لكنى لم أخن .. فعلها الوغد .. و .. « الساطور .. دماء .. » .. لم يعد البقاء ممكناً هنا .. « الجيران سمعوا صراخها .. » .. هذا البيت

محرم على إلى يوم الدين .. لكن هز محرم عليه
(هو) ؟

ووتبت على قدمي المتخاذلتين . وبصوت كئوس
صحت

- خذنى معك ! -

- « لا تكن سخيفا نحن لم نجس معا بعد . ثم
إبك لم تحتس الشأى »

بصوت كالبكاء

- « خذنى معك يا (عادل) ! »

قال فى لطف :

- « لن أتأخر سنتنظرنى هنا إن (سهام)
بمثابة أختك ولن يضير فى شئ أن »

- « خذنى معك ! »

نظر لها فى حيرة . ثم لى . ثم لها . وهز كتفيه
باستسلام :

- « ليكن .. طائما تصر على ذلك نكث سنعود . »
واتجهنا إلى الباب . ونم أستطع أن التفت إلى
الوراء لأتكر (سهام) على حسن ضيافتها .. اعرف
أننى لن أضع قدمي فى هذا البيت الحبيب أبدا .

وفى السيارة ظلت صامتا أرمق الشوارع بعينين
من زجاج ..

(عادل) يتكلم .. يتكلم .. ثم سمعته يقول بنبرة
عالية لي جذب انتباهي :

- « (رفعت) ! ما بالك ؟ تبدو كمن رأى شيئا ..
بل تبدو شيئا أنت نفسك ! »

ثم أردف وهو يدس لفافة تبغ فى فمه .

- « ربما لم تكن (سهام) ودودا كما يجب . لكنى
أعرف أنك واسع التفكير . ونحن لن نفهم النساء
أبدا هل تعرف السبب ؟ »

فما لم أرد .. أجاب على السؤال بنفسه :

- « لأننا لسنا نساء ! نياهاهاهاه ! حلوة ! أليس
كذلك ؟ »

كان هذا هو ما أحتاج إليه كى أبكى . انفجرت
منسورة عواطفى وأحزأتى كى تغرق الميادين وتعطل
المرور فى مدينة الواقع .. وسمعت (عادل) يتساعل
فى لهفة عما حدث .. أتراها (سهام) ؟ اللعينة !
لا بد أن لساتها تشبيه بذيل الأفعى قد ... (رفعت) !
بسم الله الرحمن الرحيم ! هل نتوقف ؟ هل أحضر لك
بعض الماء ؟

كنا قد وصلنا إلى (مديرية الأمن) . حيث تركت
سيارتي ففتحت باب سيارته وخرجت متساقلا .
وبصوت لم ألقه همست وأنا أحنى على نافذته .
- « اسمح لي .. أريد أن أفرد بنفسى قليلاً . »
- « لكنك لا تبدو فى حالة تسمح بـ . »
- « أنا بخير . فقط أنا مرهق . مرهق »
وابتعدت دون أن أترك له فرصة الاستزادة

★ ★ ★

كان الشاطئ خائياً تقريباً من الناس
فى ذلك الوقت لم يكن (العجمى) بالاردحام الذى
نعرفه . ولم يكن الوقت وقت اصطيف على كل حال .
لهذا مشيت .. مشيت ..

بدأى فى جيبى بنطالى . والريح تصفر فى أذنى
كأنما قوقعة عملاقة ملتصقة بها .. ورذاذ البحر يبلل
زجاج عويناتى . ويملاً فمى بمذاق مالح
رمال رمال يبعثرها حذاتى يمين ويساراً .
وخواطر لا تنتهى ..

نظرت إلى البحر وقتت له : هاتئذا أيها البحر
بأسرارك الغريبة ، ترمقنا منذ ملايين السنين .
وتخفى فى أعماقك الكنوز والجثث و ..

ثم وجدت أنى لا أقدر أن أمشي مثل أنى أقدر
ورددت ما يقوله كل من يقرر أن يكتب عن البحر
التوقع أنى لا أحد فى البحر ما يتير أبداً
مجرد صفحة غبية مملة من المياد مثله مثل
ترعة قريتي الفرق الوحيد هو أنى لا أرى الضفة
الأخرى ..

وبضرت إلى الأمام لأجنب سطح الأمواج
كان هناك رجل يمشى فى الماء الضحى . وقد تسلى
طرفى بنظري وغمر قدميه العريش حتى الساقين
فى الزبد وكان مسحى على الماء يتفحص شيئاً ما ،
يدنى منى متوقف فى مظهره
دنوت منه أكثر

كان تحيلاً كعود حنة اصنع ككوكب المسرى
بردى بذنة كحنية النون وقد نظيرت فى الريح ربطة
عق رمادية وعلى أنفه عوينت سميكة
وكان يصنع تحت أنفه حذاءين ملتوقى الشكل لى
أنا أعرف هذا الكهل .. ولكن أين ؟

شعر بوجودى - وقد صرت على بعد مترين منه -
فرشح رأسه ، وسلاقت عييتا فبتسم لقد عرفنى
سكت

لقد رأيت وجهه مراراً .. أين ؟ أين ؟ فى مرأتى ؟
فى صورةى الشخصية ؟ فى عقلى الباطن ..

وهنا بدأت أفهم ..

لقد جاء الفهم بطيئاً .. لكن جاء شاملاً قاسياً
مروعاً ..

إنه هو !

إنه أنا !

★ ★ ★

ظللتنا لفترة لا بأس بها تتبادل النظرات .. إن كلام
(أينشتاين) عن الدقيقة التى تمر فوق موقد مشتعل
فتبدو كمساعة .. والساعة التى تمر مع حسناء فتبدو
كدقيقة ؛ هذا الكلام لا يعنى شيئاً هنا .. فأنا لم
أعذب ببقاء هذا الرجل .. لكن دهرًا كاملاً مرّ علينا
ونحن صامتان ..

أخيراً وجدت الكلمات :

- « أنت ؟ »

بنفس صوتى . قال :

- « وأنت ؟ »

- « إننى لم أتصورك بهذا القبح ! قد أصلع يرتدى

بذلة كحلية اللون . بذلتى أيها النص ! »

وقبل أن يجد ردًا . كنت قد أطنقت العنان لغضبي ..
اندفعت قبضتى فى لكمة عنيفة إلى أنفه .. أكاد
أقسم إننى سمعت العظام تنهشم . إنه ضعيف مثلى ..
لكنى حائق .. وهذا ما يجعلنى أتفوق عليه ..
واندفعت قدمى فى ركلة شرسة لساقه .. فأطلق
صرخة ألم .. وراح يتوالتب كالتفلق على ساق واحدة ..
سقطت عويناته على الرمال .. فلم أتردد فى سحقها
تحت حذائى ..

ثم وثبت لأدفن رأسى الصلبة فى بطنه .. وهنا
سقط على الأرض ، وسقطت فوقه .. أعتصر عنقه
بين أصابعى وأضغط ..

أنا لا أستطيع إيذاء دجاجة .. ولماذا أؤذيها ؟ لكنى
- بالتأكيد - قادر على سحق أفعى حينما أجن ..
حينما أنزع عن روحى أصفاد التحضر وقيود الخوف
والوقار .. سأقتله الآن .. لن أنتظر حتى أسمع
تفسيراته ..

كان يحاول أن يتكلم .. لكن الكلام مستحيل حينما
تضغط يد مجنونة على حنجرتك ..

وأخيراً نجح فى انتزاع عويناتى .. وشعرت به

يحاول غرس أصبعين في عيني . لهذا ابتعدت وجهي
إلى آخر مدى ممكن ..

هنا كان (الأرينالين) قد ملأ دمي وسعرت بان
قلبي قد صار أسرع من اللازم .. أسرع مما تحتمل
شرايينه المجهدة ..

لحظة وهن مرت بي لكنها كانت كافية .
وعلى طريقة المصارعين نجح في أن يعتنيني
بدوره ..

لكنه لم يحاول خنقي ولم يوجه لكمات لي كان
يمسك بمعصمي ويردد مراراً وهو يلهث :
- « صبراً ! هيه ! قلبك أيها الغبي ! إنه سيتوقف ! »
لكني لم أكن مستعداً للتعقل ..

رفعت ركبتيّ معاً وضربتة في مؤخرة رأسه .. ثم
نهضت لأعتليه من جديد .. ورحبت أوجه لكمات
مجنونة إلى وجهه ..

هذه من أجل البنك يوم ! هذه من أجل (كاميليا) ..
يوم ! هذه من أجل اللحم .. يوم ! وهذه . هذه من
أجل (سهام) يوم يوم ! أقوى بكثير أما هذه ..
فـ ... يوم ! من أجل بذنتي الكحلية ..



سقط على الأرض ، وسقطت فوقه . اعتصر عقه بين
أصابعي وأضغط ..

كان صلباً أو أنا أضعف مما ينبغي .. هذه النكبات
لو كان صاحبها رجلاً عادياً لأمكنها قتل فين .. لكني
لست رجلاً عادياً .. إن قوتي تعادل قوة دجاجة
مصابة بضمور العضلات ..

والوعد ما زال يحاول الكلام ..

كان الغضب أقوى من عضلاتي .. لهذا اتحيت
وفعلت الشيء الوحيد الممكن .. عضضته في ساقه
عضة جعلته يصرخ .. يصرخ ليثير ذهولهم في
(إيطاليا) ..

والتحمتنا في صراع فوق الرمال ..

لا بد أن منظرنا بدا غريباً .. نوعاً من مصارعة
الديوك .. لم تطل كثيراً ..

وفي النهاية جاءت الأمواج لتغمر جسدينا .
جسدنا الراقدين فوق الرمال وقد قتلهما الإتهاك
والانفعال ..

وحين انحسر الموج كنت قد هدأت نوعاً ..

ورحت أكافح لأعب الهواء في صدري .. وأحاول
النهوض جالساً .. أما هو فظل راقداً على ظهره
يلهث .. وصدره يعلو ويهبط ..

في النهاية استطاع أن يقول :

- « أنت .. شرس .. حقاً ! »

قلت وأنا أبصق الماء المالح من فمي :

- « وأنت صلب حقاً .. كان المفترض أن تكون في

جهنم الآن .. »

قال وهو ينظر إلى السماء :

- « إننا متعادلان في القوة .. فلا أمل في أن يفوز

أحدنا .. كما في الشطرنج حين ينتهي الدور

(باطة) .. »

ونفض .. وأردف وهو يحاول الاتزان :

- « ثم إنني أطول منك نفساً لأنني .. أقتعت عن

التدخين منذ خمسة أعوام .. هلم ساعدني على

النهوض .. »

مددت له يدي فالتقطها ونفض ..

على حين مشيت إلى الماء لأغسل عويناتي ثم

أضعها على أنفي .. ورحت أتأمله عبر قطرات الماء

التي تبلل الزجاج ..

إبه أنا .. دون زيادة ولا نقصان ..

حسن .. مرحباً بك يا (دستويفسكي) يا أستاذ

الجنون هو ذا المشهد الذي طالما وصفته في رواياتك لقاء البطر مع نفسه الرواية تدنو من نهايتها ..

سألت الرجن وأنا انفض الرمر المبتسر عن تيابي .

- « والآن كفانا مزاحا .. »

- « هذا حق .. ان المزيد من المزاح سيفتئنا »

- « قل لي من أنت .. »

نظر لي وضيق عينيه ثم قال في نبات .

- « أنا الدكتور (رفعت إسماعيل) .. »

- « يا سلام .. ومن أنا إذن ؟ »

- « هذه مشكنتك لا بد أنك شخص ما »

قنت في غضب :

- « اسمع يا صاح أنت تعرف انسى اعرف أنك

تعرف انسى (رفعت إسماعيل) فكف عن هذه التمثيلية . »

قال وهو يمط شفتيه في سخرية .

- « تمثيلية » احقا تأمل في هذا ؟ أنت رجل يا .

يا (رفعت) لهذا اتأكد بالثقة ان تقول لى . هل

حقا يمكن لتشابهها ان يكون مصادفة ؟ »

قنت وان دير الاحتمالات التريضية في ذهني .
- « هذا عسير لكنه ليس مستحيلا ان الرجن نحني القوام ذوى التعويذات صلع الرءوس يتسبهون .
ثم ان الشارب يجعل الرجال جميع يحملون ذات الطابع .. »

- « نعم ونفس الندبة في الكوع الایسر ' »
قالتها وهو ينزع سترة البذلة . ثم يطوى كم قميصه ليريني ما يتحدث عنه وكان صادقا
قليلون يعرفون بأمر هذه الندبة الكسر الذى حدث حين سقطت من فوق الارجوحة كان ذلك فى بيت ختنى فى (المنصورة) سن العاشرة ؟
الأم الجبس .. كسر ثم يتحم جيدا .. ندبة فتحت فمى ومددت إصبعى داخله هنا صاح قبل ان أسأله .

- « تتحدث عن الحشو الذى سقط فى الضرس اتأتى . هو ذا ! يمكنك أن تراه وتتحسسها إذا لم تخش أن أعض إصبعك ! »

- « أنا أشمئز من محتويات فمك ! »

- « عسير على المرء ان يسممز من فمه الخاص ..
وانت تترك جيذا أننا ذات الشخص »

- « وتريد منى أن أصدق هذا ؟ »

- « تصديقك أو عدم تصديقك لن يضر الحقيقة ..
إن الشمس تشرق من الشرق .. وعاصمة (النرويج)
هى (هلسنكى) .. أردت أو لم ترد .. »
هذا صحيح .. حتى تعبيراتى الأثيرة يستعملها بذات
الأسلوب ..

لكن هناك تفسيراً لكل هذا ..

وواجبه أن يقدم لى هذا التفسير ..
وهنا تذكرت خطأ صغيراً ارتكبه وهو يتكلم .. فقلت
مصححاً :

- « آ .. بالمناسبة .. عاصمة (النرويج) ليست
(هلسنكى) .. بل هى (أوسلو) ! »

★ ★ ★

٧- المكاشفة ..

إن المرء لا يلقي نفسه كل يوم .. لهذا يجب
اعتبارها حادثة غير عادية .. حادثة يجب التوقف
عندها بعض الوقت ..

★ ★ ★

قال فى إصرار :

- « بل (أوسلو) عاصمة (فنلندا) .. ودعك من
دقك الجغرافية هذه .. فالوقت ليس وقتها .. »
قلت وأنا أواصل تنفيض ثيابى :
- « كما لرى .. لست وقتاً فحسب .. بل أنت جاهل
أيضاً .. »

ثم أرفف :

- « لم لا نذهب إلى أى مكان لنتكلم كالمتحضرين ؟ »
قال فى سأم :

- « لن يكون هذا مناسباً .. إن تشابهنا لعريب
ويلفت الأنظار أكثر من اللازم .. لتكون لقاءاتنا كلها
هنا فى هذا الموضع المنعزل .. »

سألته وأنا أتيت عني في عيني محاولا أن أسبر غوره .
- « والآن .. من أنت ؟ »

- « لقد صار هذا مملا أنا (رفعت إسماعيل) ..
ولكن من بعد آخر ! »

فتحت فمي غير فاهم .. الكلام له مذاق من قصص
الخيال العلمي . لكنني لا أفهم ما يعنيه حقا .

قال في تودة وهو يتأمل البحر :

- « هل عندك فكرة عن الموضوع ؟ »

- لا ؟

- حسن أنت تعرف أن ضخمة حجم الكون غير
المتناهية قد جعلت مجرات عديدة تمر بذات الظروف
التي مرت بها هذه المجرة وفي هذه المجرات
شموس وحول كل شمس كواكب ربما مر أحدها
بذات ظروف الأرض وهكذا يوجد ألف (رفعت
إسماعيل) في الكون في هذه اللحظة *
نظرت إليه مذهولا :

- « أنت تتحدث عن العوالم الموازية (*) »

(*) فيما بعد عرفت قصة (سالد ومسلمي) تفصلا أكثر
وصار الأمر مألوفاً لي ..

- « هو ما تقول أنا نسختك القادمة من عالم
موار آخر أنا أعرف أنك ستفهم ما أقول لأن ذكائك
هو نفس ذكائي وكل ما نحبه واحد .. وكل
ما نكرهه واحد .. »

كن الأمر مذهلا لكنني مرغم على تصديقه كل
الملاحظات تحملني على تصديقه أما هذا وإم
الاعتراف بأنني مجنون ..

هكذا واقف على الشاطئ مع نسخة أخرى مني
اتحدث معه عن نظرية من نظريات الخيال العلمي
عسيرة التصديق إذن هو الجنون ذاته !
عدت أسأله :

- « ومن أين جيت ؟ من وعاء الدب الأكبر ؟ »
مط شفتيه وقال وهو ينظر للسماء .
- « إن شرح هذا عسير لكننا - في عالمي -
نسمى كوكبنا (الأرض) مثلكم وتقدمنا العلمي
لا يأس به .. لهذا نصدق أشياء كهذه »
- « وهل جيت ههنا في طبق طائر ؟ »

- « بر عن طريق مدفع طاقة . لا يمكن تحقيق
هذه الأسفار ما لم تتخلص من جزيئاتك . وإلا تحولت

إلى رماد كونى نحن نحول الجزيئات إلى طاقة تعبر
الكون بمربع سرعة الضوء ، ثم يعاد تجميعها عند
الوصول إلى هدفها .. »

- « هذه المدافع متوافرة عندكم ؟ إذن لماذا لا أرى
منات النسخ لكل معارفى ؟ إن هذا النوع من السياحة
مثير كما تعلم ؟ »

قال وهو ينحنى ليلتقط بقايا عوينته المهشمة :

- « من قال إنها متوافرة ؟ يوجد مدفع واحد فى
اليابان . وقد قاموا بانتقاء سبعة أشخاص من
جنسيات مختلفة ليقوموا باختبار سبعة كواكب فى
أبعاد أخرى . إن (رفعت) فى كوكبنا وكوكبكم لمن
المهتمين بخوارق الطبيعة . وقد صارت شهرته
لا بأس بها فى هذا الصدد .. لهذا وقع الاختيار على
كى أكون أحد هؤلاء السبعة المحظوظين .. وهأنذا
هنا أقف مع نسختى مبرهنًا على صحة الافتراضات
العلمية الخاصة بالعالم الموارى »

- « وكيف وجدتتى ؟ »

ابتسم فى تؤدة .. وقال :

- « ياله من سؤال ! إننى أعيش فى العنوان ذاته ..

وفى جيبى ذات مفتاح الشقة ومفتاح السيارة ..
أحيانًا يصعب على أن أصدق أننى فى كوكب آخر .
كن شىء يسير كما تركته فى عالمى »
فكرت هنيهة . ثم قتت وقد تذكرت :

- « وطبعا (هنسنكى) هى عاصمة (النرويج)
عندكم .. »

قال فى دهشة :

- « طبعا .. أليس كذلك عندكم ؟ آه . فهمت .
لا بد من بعض الاختلافات بين الكوكبين . فمثلاً أنا
أكثر صحة وإيجابية منك .. »

يا لجنون ! كل هذا غريب .. لكنى مبال إلى
تصديقه بالتأكيد «

عدت أسأله ورذاذ البحر المالح يداعب وجهى :

- « وأين تقيم هاهنا ؟ لم نلتق فى شقتى قط . »
- « اخترت أحد الفنادق .. فلم يكن الصراع بيننا
مرغوبًا فيه فى وقت مبكر .. »

- « لكنك تدخل وتخرج من شقتى كأنها ملكك .. »
- « إنها ملكى ! » - قال ضاغطًا على كلماته -
« حاول أن تفكر جيدًا فى الموضوع من ناحية أخلاقية ..

تجد أنني أمارس حقى الطبيعى فى التعامل مع
ممتلكاتى .. كل من هو (رفعت إسماعيل) المولود
فى (كفر بدر) فى يوليو ١٩٢٤ له حق التعامل مع
هذه الشقة .. »

- « ... واللحم يا وغد ! »

- « إن ثلاجتك خاوية .. ولست راغباً فى الموت
جوعاً .. »

- « ... و (كاميليا) يا لعين ! »

- « إنها زوجة لا بأس بها .. وأرى أنها مناسبة
لى .. »

- « ... و (سهام) يا حقير ! »

ابتسم وقال فى بساطة :

- « أما هذه فمجرد وسيلة لجعل حياتك لا تُطاق ! »
- « لا أفهم .. »

جذب يدي فى رفق كما نجذب يد طفل .. وقال :

- « تعال نتمشى على الشاطئ قليلاً .. لا جدوى من
قضاء العمر هاهنا .. »

وتأبط فردتى حذائه ، وإلى جوارى مشى عارى
القدمين ، يتسلى بمداعبة الأمواج لقدميه .. فتارة
تتسخن بالرمال .. وتارة تنظفان ..

قال لى :

- « كما قلت لك هناك اختلافات ما بين الكوكبين ..
اختلافات صغيرة لكن لها تبعات هائلة .. كلاً كان
مخطوباً لـ (هويدا) أو خاطباً لها .. لا أدرى بالضبط ..
لكنك تشاجرت معها وأنهيت الأمر .. »

- « أما أنا فكان احتمالى أقوى منك .. وتسامحى
أشد .. لهذا نجحت فى إصلاح الأمور .. وتزوجتها »
فى ذهول نظرت له :

- « أنت تزوجت (هويدا) ؟ »

- « نعم .. ولى منها طفل اسمه (ناجى) ! »
مررت الاسم على لسانى مجرباً مذاقه .. وغمغمت :
- « (ناجى رفعت إسماعيل) .. ليس اسماً
موسيقياً .. يبدو لى ملفقاً ! »

- « ربما .. فى البدء .. لكن سرعان ما تعتاده
حين يتعلق الأمر بكائن حى يلعب ويكبر أمامك .. »
نظرت له فى دهشة من جديد ..

إذن فهذا الأخ فأر تجارب يمكن أن أعرف منه
بالكامل ما كان سيحدث لو تزوجت (هويدا) .. إن
لعبة (ماذا إذا ؟) أو (What if) تثير شغفى دوماً ..

ماذا إذا عاش (هتتر) واحتل العالم ؟ ماذا إذا لم
ياخذنى خالى للحياة معه فى (المنصورة) ؟ ماذا إذا
وصلت إشارة (عجلون) إلى (مصر) ، وخرجت
طائراتنا للتصدي للطائرات الإسرائيلية فى ٥ يونيو
١٩٦٧ ؟

قلت له وأنا أشعر بأنه ليس مقيماً إلى هذا الحد :
« وكيف كان الزواج منها ؟ »

« ماذا تتوقع ؟ إن (هويدا) من الفتيات الرقيقات
الحالعات حتى تجد زوجاً .. عندها لا يعود لديها
وقت لهذه الترهات .. أنت تعود من عناء العمل لتجد
امراً شرسة منكوشة الشعر ، لم تبدل قميص نومها
منذ أسبوع برغم كل بقع الزيت عليه ، ولا يسرها
سوى انخفاض سعر الطماطم . ولا يضايقها سوى
ارتفاعه . وليس عندها ما يهيك .. وليس عندك
ما يهيك لأن كل ما تتحدث أنت عنه سخف .. مجرد
هلاوس من دماغ فارغ مترف ! »

سرتنى ما قال .. إذن أنا لم أخسر الكثير حقاً ..
عدت أسأله :

« وماذا عن (كاميليا) ؟ »

قال لى وهو يبتسم فى إنهاك :

« أنا أرقى منكم علمياً بعض الشيء .. لهذا
قمنا بتطوير حاسب الى قادر على دراسة احتمالات
المستقبل . أنت تعطيه المعطيات وهو يصل إلى
النتائج ، يقدمها لك فى صورة فيلم متكامل على
الشاشة . ويبدو - من وجهة نظر الحاسب الآلى -
أن (كاميليا) ستكون زوجة لا بأس بها . إنها
بحاجة إلى بيت واطفال . عندها ستكف عن التحديق .
لن تكون أستاذة للفلسفة فى دارها بل ستكون أما .
أما فاضلة .. »

قلت وأنا أدارى ضحكة خبيثة :

« لهذا أنت هنا .. لقد قررت من كوكب بأكمله
على تجنب (هويدا) المزعجة وتزوج (كاميليا)
الوفية .. أليس كذلك ؟ »

لم يضحك .. وبجدية كاملة قال :

« .. لقد قننتها .. إن هذا هو أهم سبب يرغبنى

فى الحياة ها هنا .. »

ثم ارتسمت على وجهه مخايل شيطان يحلم ..

وقال :

- « إن حياتك هنا ملأى بتفرص التي لم تقتنصها
ولن تفعل .. لانك اكثر جبناً مني .. اما أنا فقد جربت
كل شيء في عالمي وفشلت فيه . لكني اعرف
الصواب واستطيع أن افعله هاهنا . انت قادر على
إعطائي فرصة نادرة : فرصة البدء من جديد . أنت
لم تبدد حسابك في البنك بعد . ثم تبع نصيبي في
الأرض التي ورثتها عن أمك بعد . ثم تتزوج (هويدا)
ولم تطرد (كامينيا) من حياتك بعد
حتى برنامجك الإذاعي الذي بدأ يعطيك قسط من
الشهرة ؛ لم تمنعه الرقابة بعد . ان المكان شاعر
لـ (رفعت إسماعيل) آخر يعرف ما يفعله ! »
ثم التقط أنفاسه وفي إرهاق قال
- « لهذا جئت لأخذ مكانك هاهنا ! »

★ ★ ★

ثم التقط أنفاسه . وفي إرهاق قال :
- « لهذا جئت لأخذ مكانك هاهنا ! »

٨ - كوكب لا يسع اثنين ..

كلنا يعرف أن المرء لا يلتقي نفسه كل يوم لكن صراعات مروعة قد تنجم عن هذا اللقاء إذا حدث ..

★ ★ ★

- « يا للسخرية ! وتظن أنني سأتركك تأخذ مكثي »

قال في نفاذ صبر :

- « بالطبع لن تفعلها إلا مجبراً .. وأنا أعرف كيف أجبرك .. هذا الكوكب لا يسع اثنين يا عزيزي (رفعت) .. عليك أن تفهم هذا بالاحسن .. وتعود بدلاً مني إلى كوكبي حين يأتي ميعاد العودة .. فالحياة هناك تناسب إنساناً رخوا سلبياً مثلك .. »

- « أنت مجنون ! »

- « ربما .. لكنني قادر على جعل الحياة لا تطاق بالنسبة لك هنا .. أنت تعرف أنني قد زرت (سهام) في شقتها صباح اليوم .. بالطبع رحبت بي وأكرمت وفادتي ..

هنا فتحت الموضوع الشائك الذي جنت من أجله : أنا أحبها وأريدها أن تتخلى عن (عادل) من أجلى . بالطبع فقدت البانسة تعقلها وانهالت على لوم وتقريعا ، وطردتني من المنزل دون رحمة .. بعد هذا جاء (رفعت اسماعيل) البريء الذي لا يعلم شيئاً عما حدث ؛ ليزور (عادل) ويأتي معه للغداء .. أية وقاحة هذه ! أية سفالة ! تصور ملات المواقف المماثلة ! »

صعد الدم إلى رأسي حتى غدا العالم أحمر كعرف ديك .. وصحت :

- « أيها النعين ! لماذا فعلت هذا ؟ »

- « الجواب معروف . لأجعل هذا الكوكب لا يطاق بالنسبة لك .. سيكون الفرار إلى عالم مواز - أو إلى القبر - هو الحل الأخير في جعبتك ! »

- « لكنه سيكون عالماً مستحيلاً بالنسبة لك أيضاً ! »

- « هذه مشكلتي . إنني شخص ناضج يعرف كيف يتولى أموره .. »

كنا قد وصلنا إلى نهاية الشاطئ ، حيث مجموعة من الصخور كساها الطحلب . وكنت قد وصلت إلى سؤالي الأخير :

- « وماذا إذا رفضت ؟ »

التفت عيناه بعيني وقال فى هدوء

- « لن يكون لى بديل عن قتلك ! »

★ ★ ★

مبلبل الأفكار عدت إلى البنسيون حرمت حقائبي
وتهيات للرحيل ..

يجب أن أعود إلى (القاهرة) اليوم .. الآن قبل
أن يحدث ما لا تحمد عقباة فأن غنيم بما يستطيع
هذا الوغد أن يحدثه من ضرر ..

دفعت إيجار اليوم وهرعت إلى سيارتي

وراحت معالم (الإسكندرية) تهرب منى إلى

الوراء ..

من أدراى أنه لن يبقى فى (الاسكندرية) ، نيو اصل
إفساد حياتى ؟ لكنى وجدت أنه قادر على أحداث ضرر
بالغ فى (القاهرة) . اما هنب فئيس لى سوى
(عادل) ، وأم (هويدا) تعجوز اتقى استبعد ان
يخنقها تاركا بصماتى على أكواب الماء فى شفتها

إنه لموقف عصيب !

يوجد شخص آخر يشبهنى ، ونه بصماتى ، وهو

مصمم على إفساد سمعتى !

ولا يحدث هذا إلا لى

(كفر الدوار) .. (إيتاى البارود) ..

مذا قل " قل ان على نو قبلت عرضه ان أقف فى
مكن معين فوق سطح دارى المكان الذى يلمسه
ض هوانى التنفزيون فى السابعة صباحا يوم الجمعة
القادم - اى بعد اسبوع - وعندها ستهبط الطلقة
التية من مدفع الطاقة اياه عندها تبدأ عملية
الاسترداد ..

وماذا نو نم يقف احدها فوق السطح "

عنده يرق انعم باثنين (رفعت اسماعين) للأبد .

وهو أمر غير مقبول . لهذا سيكون على احدها أن
يقتل وعلى الآخر أن يقتل ..

(كفر الزيات) .. (طنطا) ..

ولماذا أقبل أن اترك عالمى من اجل وغد مدع ؟

لماذا لا يرحل هو ؟

إن الايذاء نعية لاثين نكنه لن يترك هذا العالم

قابلا للحياة فيه بعد رحيله هذه هى المشكلة .

(بركة السبع) .. (بنها) ..

صبرا ايها القادم من عثم فيه (هسنكى) عاصمة

(النرويچ) ! لسوف أدبرك .. وستعرف أننى لست
سهل الهضم .

(القاهرة) .. العجوز المنهكة ..

عرجت على أول (سنترال) وجدته ، وقد خطر لى
خاطر مزعج ..

أدريت قرص الهاتف طالبا مديرية الأمن فى
(الإسكندرية) .. وانتظرت فى توتر حتى سمعت
صوت (عادل) يسأئنى عما هناك .

- « (رفعت) ؟ أبهذه السرعة ؟ »

ابتلعت ريقى .. وسألته بدورى :

- « لم أقل لك إننى مسافر كيف عرفت ؟ »

- « كنت عندى منذ ساعة هل نسيت ؟ أنت

تتكلم من (القاهرة) طبعا .. يبدو هذا مثيرا . أرجو

أن تتمكن من النحاق بموعدك .. »

- « أى موعد ؟ »

نقد صبره .. فقال فى خشونة :

- « موعدك مع ذلك الدائن . الخمسمائة جنيه

اللى اقترضتها منى . اترك نسيت أم أنت تنعب بى ؟ »

لا تبدو لى على ما يرام يا (رفعت) ! »

وابتلعت ريقى من جديد فعلمها النعین . ولم تعد
جدوى من محاولة الإنكار .. لهذا قمت لـ (عادل) كمن
يتذكر :

- « أه ! أه ! عفوا فانا أنسى سريعا هذه الأيام ..
لا تفق بصدد مالك يا (عادل) .. سيكون عندك بعد
أسبوع .. »

- « لا عنيت . وإلا فما نفع الأصدقاء ؟ على كل
حال قد سررت حين عرفت أن الديون هى سبب شرورك
وغرابة أطوارك .. ولكنى أصارحك يا (رفعت)
بدهشتى من أستاذ جامعة فى هذه السن ؛ ولا يملك
خمسائة جنيه فى وقت الطوارئ .. إن التهدير لم
يكن »

لا أجد الوقت منسبا لهذا الهراء ..

لذا صحت فيه فى لحظة :

- « (عادل) .. اسمعنى .. إياك أن تسدى لى أى
خدمات مالية . أو تصدق أى حرف أقوله لك ، أو
تسمح لى بزيارة دارك لمدة أسبوعين من الآن .. هل
تفهمنى ؟ »

- « طلب غريب حقًا .. هل أنت .. ؟ »

- « لا وقت للشرح .. وداعاً ! »

ووضعت السماعة ..

ها هي ذى أولى خسائري . كل الناس تشك في
حالتى العصبية حالياً

ولا ألومهم على ذلك أبداً ..

ثم هرعت إلى سيارتى فاستقننتها إلى دارى ..

★ ★ ★

أحضرت المفك وعالجت قفل الباب ، ثم استبدت
بقلبه ذلك القلب الذى ابتعته من (الإسكندرية) ..
وهكذا لن يدخل الشقة سوى ..

لقد تأخرت هذه الخطوة كثيراً . ربما لأننى كنت
أحسبني مخبولاً لا أكثر .. أما الآن فأتأ أعرف أن
العدو هنا .. وقريب جداً ..

ثم رفعت سماعة الهاتف ، وأدبرت بضعة أرقام
على القرص ..

صوت أنثوى ذكرى يتساءل عن المتكلم :

- « أنا (رفعت) يا (كاميليا) .. »

- « مرحباً (رفعت) . اتصلت بك أمس لأقول
إننى - بعد عدة تحفظات وشروط - على استعداد لأن

أقرب

سارعت بمقاطعتها قبل أن يخرج حرف (الـلام)
القاتل من فمها :

- « نعم .. أعرف أنك مترددة يا (كاميليا) ..
وأنا لن أثقل عليك .. »

وابتنعت أكبر قدر من الهواء لأتمكن من التلفظ
بالتالى :

- « يبدو أننى وضعتك فى مأزق حرج .. صدائى
أم حبي ؟ لن أضايقك أكثر من هذا .. صدائك تغنى
لى كل شيء . ويمكننى أن أتحمّل الحرمان من حبك
ما دمت ستكونين صديقتى .. حسن .. اعتبرى أننى لم
أقدم عرضاً ! »

كنت أتكلم وأنا أعصر السماعة كالثعبان فى
قبضتى ..

يا له من موقف ! يا له من موقف !

قالت لى فى تردد :

- « لكنى لم أقل ذلك .. ربما كانت هناك فرصة ... »

- « لا يا (كاميليا) .. أنا لن أثقل عليك مرة أخرى .

فأتأ أعرف حدودى .. وقد حسبت للحظة أن النجوم
من حقى .. لكن كنت أحمق كدينى .. »

لقد لعبت الدور كأعظم معتر شكسبيرى ..

أعرف أنها لا تفهم .. أعرف أنها تشعر بالإهانة ..
أعرف أنها تعتبرنى حماراً او مهرجاً سخيفاً .. اعرف
أنتى بالغت لى تقليل شأنى ..

لكنى مرغم .. يجب أن أقطع هذا الجسر على
الوعد الاخر ..

سمعتها تقول فى خيبة أمل تداريها :

- « حسن .. كما تشاء .. والآن وداعاً .. »

- « وداعاً ! »

ووضعت السماعة ..

رجل يعرض الزواح على امرأة ويتوسل لها .. ثم
يعتذر عن عرضه حين توشك هى على القبول ! أى
نذل هذا .. ومن أية مباءة جاء ؟

المهم أنتى - بجراحة دامية - نجحت فى قطع ذيول
هذا الموضوع الشائك .. وهأنذا قد فقدت اسماً جديداً
فى لائحة أصدقائى ..

هل سيتصل بها ؟ هل يكرر العرض ؟

هذا جائز .. لكن كبرياء الأنوثة عتية حقاً ..
وهناك احتمال ٩٩.٩٩ ٪ أن تغلق السماعة بمجرد
سماع صوته ..

ماذا بقى لى من أعمال مهمة ؟

هرعت إلى البنك .. وطلبت تغيير توقيعى
هاهى ذى مشكئة جديدة تم حلها ..

ثم اتجهت إلى الجزار - النحام حتى لا أستفز
المجمع النفوى - وأخبرته برسالة غريبة بعض
الشيء : لا تبع لى لحماً لمدة أسبوعين .. حتى لو
بدا لك أنتى أموت جوعاً !

رجل ثالث يحسبنى جنت

لن تكون هناك مشاغل فى الجامعة لأن إجازتى لم
تنته بعد ..

هل نسيت شيئاً ؟

طبعاً نسيت !

★ ★ ★



٩- ثغرات .. ثغرات ..

يقولون إن المرء لا يبقى نفسه كل يوم .. لكن عليك أن تتذكر كل ما كنت تفعله كروتين قبل هذا اللقاء ..

★ ★ ★

أول الثغرة قطرة ..

وقطرتي كانت مع رنين الهاتف النوح المزعج .. رفعت السماعة وأنا أتمنى أن يكون المتكلم أمامي لأخفقه ..

كان هذا صوت (رضا) أخى يتحدث من (كفر بر) .. فصحت :

- « مرحباً (رضا) .. هن مانت زوجتك ؟ سيوسفنى هذا كثيراً .. »

لكنه لم يكن ذا مزاج للمزاح .. وسمعته يقول بصوت متجهم :

- « لماذا لم تقل لى إنك تريد بيع القيراطين ؟ »

قيراطين ؟ هناك خطأ ما ..

- « من قال هذا الكلام الفارغ ؟ »

- « (عبد المنصف) . ألم تزره منذ يومين وتطلب منه أن يجد مشترى على وجه السرعة ؟ هذه أشياء غير مفهومة يا (رفعت) .. من العار أن أعرف هذا من الغرباء . ثم إننى مستعد للشراء إذا أردت بيعاً .. أنت تعرف هذا جيداً وبرغم ذلك . وبرغم ذلك »

آه ! فهمت سر اختفاء (رفعت إسماعيل) الآخر عنى منذ عدت إلى (القاهرة) . كان هناك فى (كفر بدر) يبيع القيراطين النذير أمنكهما . وطبعاً لن يصدق (رضا) . حرفاً من تفسيرى للأمر .

- « حسن يا (رضا) اذهب لـ (عبد المنصف) وقل له إننى تراجعته .. لن أبيع وأمنحك صلاحية مطلقة لمنع أى محاولة للبيع ! »

- « لكن .. أتراك مريضاً يا أخى ؟ »

- « افعل ما قلت يا (رضا) أرجوك »

وانتهت المكالمة ..

هو ذا شبيهى يتصرف بأسلوبه المعتاد . الضرب

تحت الحزام . ولا شك أنه ذهب إلى التبت ليسحب
كر مدخراتي . لكنه اصطدم بتغيير التوقع . لا أعرف
كيف تخلص من هذا الموقف .. لكنه راح بدور لعبة
جديدة في (كفر بدر) ..

إن السيطرة على أفعاله شبيهة بالسيطرة على
قطيع من الخراف الهالكة . كما سيطرت على
عشرة منها فر اثان طارد الاثنى تجد أن العشرة
قد فرت بدورها ..

دق جرس الباب فذهبت لأفتحه ..

كان هذا هو الحاج (عرفة) صاحب المنزل .
وهو تاجر خرقة واسع الثراء . لكن كبر السن أورثه
ضيق خلق وجهمة . ولم يكن من المعتاد أن يزور
شقتي إلا في المصائب ..

حيث أنه . لكنه لم يكن ودوداً . دعوته للدخول فلم
يبد على استعداد ..

- « خيرًا يا حاج ؟ »

سعل مراراً .. وبصق وراح يهز عصاه في
عصبية مردداً :

- « من أين يجيء الخير ؟ من أين يجيء ؟ أبعد

كر هذا العمر والعشرة تحرر ضدي محضراً في
المخفر " لم " ولم تراع هذه الشبهة " »

كان التفسير واضحاً مأزق جديد من المأزق
التي صرت أيقاع حياتي في الآونة الأخيرة
- « بعد كر هذا العمر تشكوني لأن مصباح السلم

مكسور ؟ »

أذن مصباح السلم مكسور هذا جديد على
وطيف قدم شبيهي بعمر ما يزم بتدمير العلاقة بيني
وبين صاحب الدار للأبد ..

رحت اعتذر للشيخ عجزاً عن إيجاد تفسير مقنع
وفي النهاية وعدته بالتنازل عن المحضر لكن
هذا لم يكن عذراً كافياً . فلمحصر لا يهم المهم
هي الروح الخسيسة الشريرة التي امتلأت على ما فعلت
وانصرف غاضباً وأنا أبحث عن شيء أقوله

★ ★ ★

ثالث قطرات الغيث ..

★ ★ ★

عند البقر وقفت أنتظر دوري ثم تقدمت إلى
النضد الرخامي الذي تغنوه شطايا الجن الرومي
وبقايا الخل .. والزيت ..

- « هل يوجد عندكم جبن دمياطى جيد ؟ »
كانت الحسنة الواقفة جوارى تحدجنى بعينين
منهمتين ..

ثم اردادت عيناها اتساعا ..
نظرت لها فى غباء .. انا لم ارها من قبل .
ثم تذكرت ان كل شيء ممكن فى هذه الالة
هذه الفتاة تعرفنى .. وقد اذيتها اذى كبيرا فى
وقت ما .. هذا اكيد ..

رايتها تجذب وحش مفول العضلات من ذراعه ..
وكان يقف جوارها منهمكا فى تذوق قطعة من الجبن
ناولها البقال اياها لي تجربها ..

نظر لى بدوره وفى عينيه نظرة تنذر بحش الرقاب
وسمعتها تقول له :

- « (ميمى) ! هذا هو الوقح الذى عاكسنى
أمس ! »

نظرة حش الرقاب صارت نظرة فتح كروش
وهو يرمقنى مذهولا ويقول :

- « هذا ؟ (خيال العقاة) هذا ؟ »

- « أقسم لك .. قال عبارة غزل ثم أرسل قبلة فى
الهواء ، وانصرف ! »

هت ارداد الأخ (ميمى) هياجا .. وتكورت العضلات
فى ذراعيه وصدره . ورأيتة يتقدم منى وهو يزأر
كأنمر .. الجبن يتساقط من شفثيه مع اللعاب .. لم
انتظر لأقدم تفسيرات أو أسئلة . أنا أعرف أن هذا
حدث .. أعرف أن هذه هى الحقيقة ..

وقبل أن أفهم أنا نفسى ما يحدث ، أطلقت ساقى
للريح . إننى خفيف الوزن على كل حال . لكن
منظرى بدا لى مهينا . مهينا إلى حد لا يوصف ..

بعد كل هذه السنين . أنا د (رفعت إسماعيل)
يهرب كرنب .. ومتهم بمعاكسة امرأة !

ولو أمسكنى هذا الأخ (ميمى) لتناثرت كرامتى
مع دمانى فى كل أرجاء الشارع . تدوس عليها
الكلاب وأحذية العابثين ..

وحين ابتعدت بمسافة كافية ، أرحت ظهري إلى
جدار . ورحت ألتهث .. وعيناي تدمعان قهرا

ورحت أردد دون كلل : سوف أقتله ! سوف أقتله !

★ ★ ★

وتحت باب شفثى وجدت ورقة دستها أحدهم لى ..
تقول :

« اهرب بجذتك ! ان اعرف كيف اتوافق مع هذا
الجحيم .. أما أنت فلا .. »

ثم يكن ثمة داء للتوقيع لان الخط خطى ذاته

★ ★ ★

ثم انهمر الفيث ..

صار منوفا ان يتهمى كثر الناس باتسبء ثم اعلمها
جاري - المهندس الشاب - جاعنى ومعه طفلة
التصغيرة كانت تتحبب فى حرارة وفى يدها دمىة
مكسورة ..

تقول الطفلة انى قدبنتها على التسلم . فانتزعت
منها الدمىة وهشمتها بضربها فى الحائط مرارا ثم
صغعت الطفلة واتصرفت . فما هو دفعى "
أقسم بالله اننى لم أفعل ..

وبعد حذل حميص وتؤييح بالأيدي . يحول الرجل
إقناع نفسه ان الطفلة تكذب أو تتوهم أم ال
فأعرف أن كل حرف قالته صدق ..

ثم يجىء السواب ومعه صديقان له . لينومنى على
السبة التى اضيقها عليه . ثم افعل . أقسم بالله ثم
أفعل



وقبل أن أقسم أنا نفسى بحدث . أصغيت مسامى للريح ..
إننى خفيف الوزن على كل حال ..

وينتهي الموقف على تراض غير ذي أساس ..

★ ★ ★

لم أفعل .. أقسم بالله لم أفعل ..

★ ★ ★

بعد يومين في هذا الجحيم كنت قد حزمت أمري .

سأقتل (رفعت إسماعيل) دون شفقة !

★ ★ ★



١٠- ألعاب القتل ..

إن المرء لا يلقى نفسه كل يوم .. لهذا يحتاج إلى ما هو أكثر من الحظ كي يقتل هذه النفس دون أن يموت هو نفسه !

★ ★ ★

أراكم مندهشين !

هو ذا العجوز المسالم (رفعت إسماعيل) الذي اعتاد أن يبيت مظلوما لا ظلما ! يتحدث عن القتل في تصميم حاقد ..

خذوا الموقف من الناحية الأخلاقية ..

أولا : أنا لن أقتل سوى نفسي . لكنه وضع فريد لن يكون من السهل أن تعتبره انتحارا ، لأنني سأظل حيا بعد هذا ..

ثانيا : إن قتل الأفاعي السامة ليس جريمة ، وقد أثبت هذا الـ (رفعت) . أنه أشد أذى من كل الأفاعي المقرنة وذات الجرس . ثم إن أحدا لن يساعدني سوى . لا جدوى من أن أشكوه إلى الشرطة ..

ثالث . لو انك صليت صفاً طويلاً ونزل منه كس
مغطى بأحراشف . وله لسان مشقوق وثلاث أعين
عنده يمكنك ان تقتله من الناحية الاخلاقية لن
يتهمك أحد بانك قاتل اثم قوانين الاحلاق لا تتضمن
تلك الكائنات المستبعدة القديمة من عوالم اخرى
وهذا الـ (رفعت) كمن قدم من عالم اخر
صحيح انه يبدو بتربيه صحيح انه متى وميتك
لكن القاعدة لا تتحرم اية استثناءات

هذا عن الناحية الاخلاقية ..

من الناحية الامنية لن تكون هناك مشكئة فهذا
الـ (رفعت) لا وجود له . وضئعا ان حى ارزق فلا
جريمة هنالك ..

يبقى الآن التدبير العملى لهذه الجريمة

١ - يجب ان يكون قتل سهلاً لا يحتاج إلى مجهود
عضلى
٢ - يجب ان تختفى جثته تمام كالمات لم يوجد
قط ..

٣ - يجب ان اكون حذراً لانه - بالتاكيد - يتوقع
هذا . ولانه يحتمل مسدسا ضيق مدام نسخة اخرى
منى ..

الآن - بوصفى قاتلاً مرتب الذهن - غذا من واجبى
ان اضع الطرق المختلفة لقتل على السورق . مع
اختيار افضلها وانسبها

١ - القتل بالخنق .. الشنق .. العنف الجسدى :
بالتاكيد لا يصح . فنحن متعادلان فى القوة .. بل
كفته ارجح قليلاً وهذا يعنى انه قادر على سحقى
متى شاء ..

٢ - القتل رمياً بالرصاص . حى لا بأس به .
ولا يحتاج إلى قوة جسدية . لكن تبقى مشكئة صوت
الرصاصه .. لا أمك كاتما للصوت ولا أعرف من أين
أبتاع واحداً ..

(ربما لو استطعت تدبير لقاء فى الصحراء لغدا
هذا ممكناً) ..

٣ - القتل رمياً من عل : يحتاج إلى صراع عنيف
ولربما كان هو الطرف الأقوى فيه . ثم إن هذا القتل
يتخلف عنه جثة . والجثة ستثير أسئلة كثيرة ..
خاصة أنها ستكون منقاة فى عرض الطريق .

٤ - القتل بالسّم : حل رائع .. وغير خطر .. فقط
يحتاج إلى جلسة صافية بيننا فى مكان منعزل .

وهكذا استقر رأيي على القتل بالسم ..
 واتجهت إلى صيدلية دارى ، فاخترت بعض عقاقير
 القلب الفعالة .. إن أقراص (الديجيتالا) مناسبة جدًا ..
 يكفي أن أطحن منها ثلاثين قرصًا بقاعدة الكوب .. ثم
 أضعها في وريقة صغيرة .. وأدس المسحوق في
 جيبى بانتظار اللحظة المناسبة .
 وهكذا رحلت أمضى الساعات استعدادًا لمهمتى
 الخاصة هذه ..

★ ★ ★

إنه يريد أن يطردنى من وجودى .. يحتل عالمى ..
 لهذا صارت الحرب هى المخرج الوحيد لى ..
 ولتكون حربًا ضروسًا لا تفر ..

★ ★ ★

أين هذا الوغد ؟ لماذا لا يتصل بى ؟

★ ★ ★

فى اليوم التالى لم تكن هناك مضايقات كثيرة ..
 فقط استدعونى إلى المخفر .. وهناك رأيت
 د. (رشدى) جالسًا ينتظر ..
 كان د. (رشدى) زميلًا لى فى الكلية .. وكان

متوترًا دومًا كذئب حية ذات جرس .. وله شعر أشيب
 ناعم ينساب على جبينه كنما حاول رفعه لأعلى ..
 ووراء عويناته تطل نظرة اتهام دائمة ..
 كانت بيننا منافسة طال أمدها . فهو من نفس
 صفى الدراسى قديمًا .. وكلانا يحاول أن يسبق الآخر
 بخطوة ليريه كم هو أحمق ..

وفى الآونة الأخيرة نما بيننا عدم استلطاف متبادل ،
 كان يتحول أحيانًا إلى تراشق بالاتهامات .. فأنا أعتقد
 - وأومن - أنه سرق إحدى أوراقى البحثية ونشرها
 باسمه .. أما هو فيؤمن أننى المسئول عن اختفاء
 عيناته المعملية من ثلاجة المستشفى .. وهذا كلام
 فارغ طبعًا ..

كنا لا نطبق بعضنا .. لكننا حافظنا دومًا على روح
 التحضر بيننا .. ولولاها لهشم كل منا رأس الآخر
 على أقرب جدار ..

كان جالسًا مع مأمور القسم يجرع بعض المياه
 الغازية من زجاجة ، وحين رأتى أشاح بوجهه بعيدًا
 وردد توترًا

دعانى مأمور القسم للجلوس .. ثم قال فى تحفظ :

« معذرة يا د. (رفعت) .. إنه سوء تفاهم سيتم حله سريعاً .. »

سوء تفاهم ؟ ماذا حدث في هذه المرة ؟

قال المأمور بنفس اللهجة المهذبة :

« يبدو أن هناك من يستغل اسمك ، ويداعب

د (رشدي) مداعبات قسرية . لكننا واثقون أن هذا

لم ولن يحدث بين أستاذي جامعة راقبين مثلكما ! »

هنا صاح (رشدي) في هستير .

« إنه هو ! الخط خطه والتوقيع توقيعته ! »

نظر له المأمور كي يصمت .. ثم عاد يسألني بنفس

الابتسامة المهذبة :

« هل عندك فكرة عن هذا الخطاب ؟ »

مددت يدي لأتناول المظروف من يده وفتحته

متوجساً

كان يفتقر إلى التهذيب . هذا هو أقل ما أستطيع

وصفه به .. ولما كان نصه غير قابل للنشر فبني

أرجو إعفائي من تلاوته عليكم لكنه - على كل حال -

يحوي قدراً لا بأس به من التهديد . وعدداً محترماً

من نعوت (الحمار) و (الخنزير) و (النسن

و (المعتوه) ..

كان الخطاب يهدد (رشدي) بقطع ادنيه إذا لم يكف عن سرقة بحوثي العلمية .. وطبعاً كان الخط خطي دون حاجة لخبير خطوط ، وكان مذيلاً بتوقيعي وباسمي ..

مفجأة جديدة يقدمها لي ذلك الـ (رفعت إسماعيل)

رفعت الخطاب في يدي . وقتت باللهجة من يجد كل هذا سخيفاً :

« طبعاً لا داعي لإضاعة الوقت في مناقشة هذا

الاتهام . إن من يكتب خطاباً كهذا لا يوقعه باسمه

أيضاً .. »

نظر المأمور إلي د. (رشدي) وابتسم .. وهز يده ..

كأنما يقول له : رأييت ؟ إن هذا منطقي جداً ..

لكن د. (رشدي) هتف في عصبية وتعصب :

« إن (رفعت) ذكي جداً . لقد وقع الخطاب كي

يبعد الشك عن نفسه .. كان يعرف أننا سنقول ذات

الشيء ! »

قلت أنا محققاً (وقد زاد من حنفي أنني أعرف أن

كلامي كذب) :

« ولماذا أرسل خطاب تهديد ؟ يمكنني دوماً أن

أقول لك ما أريد بلساتى .. لست مراهقاً يخشى أن
يصارح ابنة الجيران بحبه ، فيكتب لها خطباً .. »
قال المأمور بلهجته المهدبة الميالة إلى تهذئة
الأمور :

- « أنا كذلك أرى أن هذا غير منطقي .. هناك من
يلعب لعبة قاسية كى يوقع البغضاء بينكما .. »
هتف (رشدى) وهو يزيح الخصلات البيضاء عن
جبهته :

- « خبير خطوط ! أنا أطلب بعرض هذا الخطاب
على خبير خطوط .. عندها سيعرف الجميع أن هذا
هو خط (رفعت إسماعيل) ! »
آه .. ! هذا هو ما أخشاه .. أنا أعرف جيداً أن
الخط خطى ..

لكنى تظاهرت بقوة موقفى . وباستخفاف قلت : «
- « خبير خطوط ! لم لا ؟ وقارئ كف كذلك .. إن
الخط يشبه خطى ياد (رشدى) . لكنه ليس خطى .
هل هذا واضح ؟ هناك من تعتمد تقنيده خطى ليحكم
خداع شخص مثلك .. »

صاح الرجل فى عصبية بالغة وهو يشير إلى :

- « هن تسمع يا سيدى ما يقول » أن أطلب بحمايتى
من هذا الرجل فهو مجنون تماماً .. مجنون
ولا يتحكم لحظة فى نفسه .. »

ظن المأمور جالساً ينقل عينيه بين وجهينا ..
نظراته تقول بوضوح : تأنى ما أغرب هؤلاء الأطباء !
إنهم يجنون جميعاً فى النهاية ..
بعد هنيهة قال :

- « يمكننى تصعيد الأمر وعرضه على النيابة ..
لكنى لست ميلاً إلى هذا .. فستأبصدد مشاجرة
بالمطوى (قرن الغزال) فى مقهى . بل هو خلاف
بين عالمين لهذا أسألك ياد (رشدى) أن تتناسى
الأمر .. »

ثم نظر لى وقتاً بلهجة مناشدة :

- « وأسألك أن تعتذر له ياد . (رفعت) ! »
هنا (أخذتنى العزة بالإثم) فواصلت تمثيل دورى ..
- « أنا ؟ أعتذر له ؟ أعتذر عن أى شيء ؟ أنا لم
أكتب هذا الخطاب .. وعليه أن يعنى ذلك . وإلا
فليفعل ما يروق له .. »

- « أرجو ألا تريد الأمور تعقيداً .. »

ثم نظر إلى د (رشدي) مناشدا من جديد :
« هلم . تنازل عن شكواك . الأمر ليس بهذا
السوء .. »

بعد دقائق وجدنا اننا أنهكنا الرجل أكثر من اللازم ..
وكان الوقت قد صار مناسبا لى كى أعتمر لا عن كتابة
الخطاب . بل عن ما سببته لرجل من صدام .
وقبل (رشدي) أن يتنازل بدوره ..
وهكذا انتهت هذه الجلسة المرهقة .

وانصرفنا و (رشدي) عدوين يتمنيان التدمير
لبعضهما

ضربة أخرى تحت الحزام من شبهي . وهي
ليست الأخيرة . إن الغيث ينهمر بغزارة يمكنه أن
يفعل كل شيء : خطابات غرامية للجانحات المتزوجات .
خطابات تهديد للجيران .. خطابات تحوى السباب
لزملائى فى العمل . منشورات تهدد أمن الدولة
بعلقها فى كل مكان ..

وفى جميع الأحوال يستطيع خبير الخطوط أن يؤكد
ويقسم على أن هذا هو خطي .
سوف أقبله .. لا أجد حلا أكثر رقة ..

★ ★ ★

١١ - التسلسل ..

إن المرء لا يلقي نفسه كل يوم .. لهذا ربما احتاج
إلى البحث عن هذه النفس فى كل مكان مطروق ..

★ ★ ★

ولكن أين هو الآن ؟

ما دام لا يبحث عنى فعلى أن أبحث عنه ..
إن يوم الجمعة يقترب .. وبعده سيكون على أن
أتحمل وجوده معى للأبد .. لكنه لن يحاول تعكير
حياتى وفكها .. بل سيحاول إنهاؤها !
لقد تجاوزنا مرحلة (المقابل) إلى مرحلة القتل ..
على أن أجده سريعا .. لكن أين ؟

★ ★ ★

هو قال إنه يقيم فى فندق ..

يمكننا هنا أن نستغل التشابه الشديد فى طباعنا ،
لنتوصل إلى هذا الفندق .. هو فندق من النوع الذى
يناسبنى .. نظيف .. صغير .. ثم هو فندق رخيص
أشمن .. لأن إمكانياته المادية محدودة ..

أضف لهذا أنه فندق دان من بيتي . ما دام الرجل يحوم حول منطقة سكني بهذا الإفراط . وهو لا يملك سيارة .. ولا يستعمل سيارتي في المعتاد .

وهكذا - وعلى طريقة (هولمز) الشهيرة - أمكنني أن أركز شكوكي في ستة فنادق كلها تتمتع بالشروط الثلاثة ..

ورحت أجول بينها بالسيارة بعدما أعددت بعض احتياطات ضرورية ..

دخلت فندقين لأسأل عن (رفعت إسماعيل) وهو سؤال غريب طبعاً لو اتضح أن الرجل يقيم في أحدهما . (رفعت) يسأل عن (رفعت) سيجن موظف الاستقبال حتماً ..

لكن الفندق الثالث أراحني من عاء أسوال . كان اسمه (فندق المهراجا) .. وهو اسم غريب لا يبعث الطمأنينة في النفس .

فما إن دخلت إلى ردهة المكان ، حتى وجدت موظف الاستقبال يمد يده - دون أن ينظر لي - لينتقط مفتاحاً من النوحة خلفه ، ويناوله لي دون اكتراث .

ثم يعود لمطالعة الجريدة التي أمامه .

فهت ! هذا هو الفندق المقصود .. والموظف يحسبني أنا (رفعت إسماعيل) غير عالم - الأحق - أنتي (رفعت إسماعيل) !

للأسف فأتى أن أعرف رقم الحجرة . فالنوحة بها عدة مفاتيح ناقصة . لهذا استجمعت شجاعتي وسألته أسخف سؤال ممكن :

- « معذرة ! غرفة رقم ؟ »

ارتفع حاجبه في دهشة .. ونظر لي هنيهة ثم قال :

- « رقم ستة وخمسين ! هل نسيت يا دكتور ؟ » حاولت أن أبرر موقفى بشرود الذهن .. حكيت له عن الأديب (تشستر تون) الذي وقف في طابور البنك حتى وصل إلى الصراف عندها أدرك أنه نسي اسمه ! والتفت إلى الواقفين يسألهم : هل يعرف أحد اسمي من فضلكم (*) ؟

ابتسم الموظف ابتسامة باهتة .. إن هذه النكات الإنجليزية لا تناسب موظفي الاستقبال كما هو واضح . على كل حال لقد عرفت ما أريد ..

(*) حقيقة ..

وتهيأت للانصراف حين تذكرت .. تذكرت أننى
نسيت الرقم من جديد ! تباً لعقلى الفارغ المتخاذل !
لقد أنستى حكاية (تشسترتون) الرقم بعد دقيقة من
سماعه .. لهذا التفت إلى الموظف من جديد :
- « سامحنى على وهن ذاكرتى .. قمت لى ما هو

الرقم ؟ »

نظرة حيرة تبدت فى عينيه .. أترانى أسخر منه ؟
فى النهاية قال نافذ الصبر :

- « ستة وخمسون ! إنه مكتوب على المفتاح على
كل حال ! »

- « شكراً .. »

وصعدت فى الدرج .. لا بد أن الغرفة السادسة
والخمسين فى الطابق الثمانى .. ووجدت أرقام
الخمسينات على الأبواب أمامى .. فسرت معها حتى
وصلت إلى الغرفة المطلوبة .

ليس (رفعت) هنا حتماً ما دام مفتاحه مع موظف
الاستقبال .. فلأدخل دون وجل .. كنك ! افتح الباب
عن وكر الأقعى ..

ودون تردد خطوات إلى الداخل ..

★ ★ ★

لم تكن الغرفة آية فى النظام والنظافة .
هذا طبيعى .. أليس هو (أنا) آخر ؟ ثم إن عاملة
الفندق لا تنظف الغرفة إلا مرة واحدة فى الصباح ..
رحت أتأمل أشياءه فى فضول نهم ..

أكوام من الجريدة التى أقرؤها دون سواها .. ثيابى
التي سرقها منى فى كل موضع ..

لا أعتقد أنه سيحتفظ بمالى هنا ..

وجوار الفراش وجدت علبة مميزة .. علبة أقراص
(أنتروجلسرين) إياها .. فهو مثلى يشكو من ضيق
الشرابين التاجية فى سن مبكرة نسبياً ..

كان المقلب الأول فى ذهنى تماماً ، وقد استعددت
له منذ وقت مبكر ..

مددت يدي إلى جيبى وأخرجت علبة أقراص
(الإفترين) .. ثم إننى أفرغت محتويات علبة
(أنتروجلسرين) فى جيبى .. وملأت العلبة
بـ (الإفترين) ..

إنها مفاجأة غير سارة لمرضى القلب عموماً ..
سيشعر بألم فى صدره ، ويحاول أن يخفف منه
بقرص (أنتروجلسرين) .. عندئذ يؤدى (الإفترين)

عنه ويزداد العيب على القلب أكثر فأكثر . ربما
يؤدى إلى الوفاة أيضا ..

الوفاة ؟

عندها توقفت .. تصلبت أطرافى .. ثم - لا شعوريا -
مددت يدي لأفرغ العلبة من (الإفرين) .. إن القتل
أصعب مما توقعت .. خاصة حين يكون قتلًا خسيًا
مخادعا كهذا . على كل حال إن علبة (نتروجلسرين)
فارغة لأفضل وأقل ضررا من علبة ملأى بسم
زعاف ..

قررت أن أمرح قليلا على طريقته
وهكذا قمت بإتلاف بعض الأشياء فى الحجرة ..
وخدشت الجدران بقمى . ومزقت حشية الفراش ..
أتمنى أن أرى وجهه حين تطالبه إدارة الفندق بثمن
هذه الإصلاحات .. إن فندق (المهرجا) هذا لا يقبل
الشيكات طبعًا وبالطبع يحتفظ ببعض البلطجية
لإقناع الراضين من أى نوع ..

★ ★ ★

تأهبت للانصراف حين سمعت صخبًا خارج الغرفة ..
أرهفت السمع .. فتبينت صوتى الوقور يتكلم



لم تكن الغرفة أية فى النظام والظافة .. هذا طبعى ..
أليس هو (أنا) آخر ؟

بالخارج .. والصوت الآخر كان موظف الاستقبال ..
لقد وقعت في الشرك !

كان موظف الاستقبال يكرر في حماس :
- « أقسم إنك أخذت المفتاح وصعدت لحجرتك منذ
دقائق .. »

وكان (رفعت) يقول في إصرار :
- « وهأنذا أمامك ! فهل وثبت من النافذة وعدت
لأدخل من الباب ؟ »
- « أستغفر الله العظيم ! »

- « لن نظل هنا طيلة اليوم .. هل معك مفتاح
آخر ؟ »

- « بالطبع .. لكن .. » - ثم في استسلام -
« أستغفر الله العظيم ! »

لم يكن هناك مفر من الاختباء ..
وراء الستائر ؟ لا .. إنه مكان أبله لا يناسب سوى
أبطال مسرحيات (شكسبير) .. تحت الفراش ؟
سيكون في هذا (بهدلة) لا بأس بها .. لكنه الحل
الوحيد ..

وهكذا شرعت أرحف تحت الفراش ، ومددت

جسدي .. يا له من جسد منيء بالعظام لم يخلق للنوم
على الأرض !

وهنا سمعت صوت المفتاح يدور في الباب ..
- « يا الله ! ماذا أصاب الغرفة يا سيد ... ؟ »
- « لا عليك .. خذ هذا .. سنتفاهم فيما بعد .. »
- « لكن .. »

وعرفت - من مكاني - أن جنيها قد استقر في
جيب الموظف ليخرس .. ثم سمعت صوت الباب
ينغلق ..

لقد صار (رفعت) وحده هنا الآن ..
سمعته يصدر عبارات ذهول أو ضيق .. ثم غمغم :
- « فعلها اللعين ! »

كان يتأمل الخراب الذي قمت به .. ثم سمعت
خطواته تدنو أكثر فأكثر .. حبست أنفاسي .. شعرت
به يجلس على الفراش فوقى .. الملة تنن
ثم سمعته يقول بصوت هادئ :

- « هلم يا د. (رفعت) .. اخرج ! أنت لن تظل
ههنا ليوم الدين ! »

واصلت الصمت فشعرت بيده تتحسس الملاءة .

وارتفع طرفها .. وعاد يكرر إلحافه بذات الصوت الهادئ :

- « هلم أنا أعرف أنك هنا .. لا تجبرنى على الانحناء .. »

هنا لم أعد واجداً نفعا من البقاء فى هذا القبر ؛ فأخرجت جسدى بكثير من الغناء .. وجئست القرفصاء على الأرض أنفض الغبار عن ثيابى . بينما جلس هو فوق الفراش يتأملنى كأنما أنا شيء معتاد فى عالمه ..

سألته وأنا أنهض :

- « كيف عرفت ؟ »

بلا مبالاة قال :

- « أنا أعرف أنك صعدت ولم تهبط .. إذن أنت فى الغرفة .. ولا يوجد مكان للاختباء بالغرفة سوى تحت الفراش .. إن الاختباء وراء الستائر لا يناسب سوى أبطال مسرحيات (شكسبير) ! »

حقاً هو يفكر مثلى بدقة تامة ..

عاد يسألنى دون أن ينظر إلى :

- « هل جئت لتقتلى ؟ »

- « ربما خطر لى هذا .. »

- « .. وجئنت أليس كذلك ؟ أم أنا فتن أجبن عن هذا .. لكن لا تخف .. لن أقتلك هاهنا لأن التخنص من جثتك مشكنة .. وعلى كل حال ما زلت أعتقد أنك سترجح جانب العقل .. ما زال يوم (الجمعة) ينتظرنا .. »

ثم تأمل فوضى الحجرة حوله .. وقال دون أن يبدو لوم فى كلامه :

- « أنت تضرب تحت الحزام .. »

- « مثلك ! والبيدئ أظلم .. »

ضحك من قلبه حتى غرق فى نوبة سعال ثم سألتنى :

- « كح كح ! هل ستكون هناك يوم (الجمعة) ؟ »

- « لا تعتمد على هذا .. »

ونهضت وسويت ثيابى . واتجهت إلى الباب .. قال لى مذكراً :

- « موظف الاستقبال سيطلب المفتاح منك .. »

- « سأعطيه إياه .. إنه معى .. هل نسيت ؟ »

- « وكيف أخرج أنا ؟ »

« تلك مشكلتك ! »

وغادرت الحجرة دون تردد .. ولم أنظر لنوراء ..
ونظر لي موظف الاستقبال نظرة لن أنساها أبدا ..
فأنا إنسان مجنون تماما لا يكف عن الدخول والخروج ،
واستبدال بذلته . دونما تفسير واضح ..

تجاهلت نظرتي ، وغادرت الفندق .

★ ★ ★

إن يوم (الجمعة) قادم بسرعة جنونية .
إنه منتصف ليلة (الخميس) !

★ ★ ★



١٢ - لحظة الحقيقة ..

إن المرء لا يبقى نفسه كل يوم .. وهذا من حسن
حظه ..

★ ★ ★

دق جرس الباب فذهبت لأفتحه .
كانت الإضاءة خافتة بسبب المصباح المكسور إياه .
نكن الضوء الخارج من شفتي كان كافيا لأعرف من
القادم ..

كان هو .. وقد بدا جادا صارما

قلت له في ثبات :

- « من قال إنني سأدعك تدخل شفتي ؟ »
- « أنا أعرف أنك ستفعل .. فأنت تريد معرفة سر

قنومي .. »

كان صادقا لكني سأنته :

- « جئت لفتلي طبعاً ؟ »

- « أنت أذكى من هذا . أنا لا أريد جنثا تشبهني

تسبب تساؤلات عديدة .. »

ثم تساءل حالماً :

- « متى يخترعون وسيلة للقتل تزيل جثة القتل
من الوجود ؟ إننا بحاجة إلى مدفع (ليزر) يحول
المقتول إلى بخار .. »

- « إن الرفاهية التي يقدمها العلم لن تقف عند
حد .. »

ثم سمحت له بالدخول ..

ما أقبحنى ! لو كان هذا الشيء حقاً نسخة منى ،
فإننى لا أجد سبباً يجعل حسناء كـ (ماجى) تتعشق
بى .. أو فتاة عادية كـ (هويدا) تقبل بى عريساً .
لا بد أننى ظريف أو رائع إلى حد مدهل . بحيث
تغطى جاذبية روحى على هذا القبح المريع ..

قال لى وهو يسترخى على الأريكة :

- « الحق أننى بدأت أرتاح لك يا (رفعت) .
يوسفنى أن لقاءنا يوشك على الانتهاء .. »
- « انت صادق فى هذا .. أهدنا ذاهب إلى الجحيم ..

ولن يكون أنا ! »

تنهد . وقال وهو يفك ربطى حذائه :

- « إن الخلاص من نفسك لأمر عسير . »

ابتعلت ريقى . وقتت له وأنا أتحاشى نظراته :

- « دعنا نغادر الشقة سادعوك إلى كوب من
العصير فى مكان جيد .. »

ابتسم . وتربع على الأريكة قائلاً :

- « ولسوف تدرس لى مسحوق (الديجتالا) فى
العصير .. ثم تنقى بجنتى فى الصحراء أليس كذلك ؟!
حذار ! فأنا أفكر بنفس طريقته .. ولا يسهل
خداعى .. »

أسقط فى يدى .. فسألته :

- « إنن لماذا أنت هنا الآن ؟ »

- « أردت أن أعاود إقناعك .. فما أدعوك إليه ليس
بهذه البشاعة .. »

- « هذا عالمى .. وهذه حياتى . ولا أتوى التخلّى

عن أى شيء منهما .. »

قال وهو يمد يده فى سترته :

- « أنا أعرض عليك حلاً جذرياً .. »

وفى بلاهة رحت أرمق المسدس المصنوب إلى
رأسى .. مسدسى أو نسخته إذا أردنا الدقة ..
وتصلب جسدى كله :

- « لا تكن سخيًا .. أنت لن تطلق على الرصاص ! »
- « لم لا ؟ »

- « قلت إنك لا تريد جثثًا تشبهك .. »
- « هذا حق .. لكن أحدا لن يجد جثثًا .. »
- « سيسمع الجيران الطلقة .. »

- « عندما أفتح الباب لهم ، وأقول إنني بخير ..
وأن المسدس أطلق بينما كنت أنظفه ؛ عندها
سيعودون إلى بيوتهم مغمغمين : يا للمجنون ! ثم
ينسون كل شيء . بعدها أحمل جثثك إلى السطح ليتم
التبادل .. »

كان مخي يعمل كسيارة سباق ..
هذا كلام منطقي .. ومن الغريب أنني لم أفكر فيه
عندما سمحت له بالدخول
عدت أسأله :

- « ولماذا لا تفعل ذلك الآن ؟ »
- « لأنني أمل في أن تفعلها حيًا . لست شغوفًا
بقتل من يشبهني إلى هذا الحد .. لكنني بالتأكيد
سأضغط الزناد إذا استمرت في عنادك .. »
نظرت إلى ساعتى ..

إنها الرابعة صباحًا . ما زالت ثلاث ساعات
تفصلنا عن الموعد المنتظر ..

وعلى أن أخدع هذا الوغد قبل فوات الأوان ..
ومرت الدقائق بطينة مملة ..
يبدو أنني جلست على الأريكة بعض الوقت فغبت
عن الوعي ثم عدت لصوابى .. وتأملتته . كان
جالسًا يقاوم النعاس بدورده والمسدس في يده ..
أغمضت عيني من جديد .. وفتحتها فوجدته قد
أغمض عينيه تمامًا ..

هل أتب عليه لانتزع المسدس ؟
إنها مخاطرة . ماذا لو كان حافز الخطر عنده
قويًا .. وفتح عينيه وأنا على بعد مترين منه ؟
سيضغط الزناد بدون تفكير .. و ..
وعاد النعاس يهزمني من جديد ..

لكني كنت أعرف أن حرب النعاس سجال بيننا ..
وأنه يصحو حين أنام أنا .. والعكس صحيح .
وبدأ الضوء التنظيف المنتعش يتسلل إلى الشقة ..
صياح الديكة من مكان ما وصوت الطيور
تشاجر على نغمة العيش .

ونظرت إلى الساعة . إنها السادسة صباحا .
وصاحبنا قد نام تمام لكن المسدس لم يفارق
يده ..
أدركت أن على أن أتحرك سريعا فتوتره لن
يجعله ينام أكثر ..

★ ★ ★

وثبت وثبة واحدة إلى باب الشقة ففتحته .
وخرجت منه .. ثم أغلقته خلفي ..
وهرعت أصعد في الدرجات إلى سطح البناية .
درجتين فدرجتين .
لحسن الحظ لا أحد يصحو مبكرا يوم (الجمعة) .
فليس هناك من يسألني أسئلة مريبة .. ليس هناك
سواي ..

فتحت الباب الخشبي ذا التصيير .. وخرجت إلى
الفضاء الفسيح ..

هو ذا هوأى التفرزيون الخاص بي ..
الشمس محتجبة .. لكني أعرف الشرق والغرب .
ويمكنني تخمين أن هذا هو الموضع الذي سيلمسه
ظل الهوائى بعد دقائق ..



وصاحبنا قد نام تمام . لكن المسدس لم يفارق يده .

ألقيت قطعة قرميد في المكان المذكور ..

ثم هرعت إلى الهوائى .. فجاهدت حتى انتزعته من مكانه .. كان مثبتاً إلى السور ببعض الحبال لم أجد مشقة في قطعها ..

ثم حملته إلى موضع بعيد .. وأحكمت ربطه هناك .. لم يأت شبيهى بعد ..

يحتاج إلى بضع ثوان كى يفيق .. ويهرع إلى الباب .. ثم يبحث عنى فى الطوابق السفلى لأنه يتوقع أننى هربت إلى الشارع ..

بعد هذا سيفطن إلى أننى لم أبرح البناية بعد .. وسيبدأ فى البحث عنى من أسفل لأعلى .. حتى يصل إلى السطح ..

ونظرت لساعتي .. ربع ساعة .. عشر دقائق على الموعد ..

أشرقت الشمس .. ورأيت ظل الهوائى - فى موضعه الجديد - يرسم على أرض السطح .. إنها السابعة إلا دقيقتين ..

هنا انفتح الباب ..

ورأيت (رفعت) يدخل شاهراً مسدسه ..

كان شرساً .. نظرة الغضب الوحشية فى عينيه .. وإحساسه بأنه قد خدع بشكل ما .. ولو لم يكن يخشى تأثير الموت على انتقال الجزيئات ؛ لأفرغ رصاصة فى جسمى فوراً .. لكنه كان يخشى أن يفسد شيئاً ما بقتلى ..

قال لى بصوت لم يفارقه النعاس تماماً :

- « كانت محاولة حمقاء .. والآن تحرك .. فقد

حان الموعد ! »

قلت وأنا أراجع للوراء :

- « لن أفعل ! »

- « اسمع .. لم يعد الوقت يسمح بالمزاح .. هيا ! »

قالها وازداد عصبية .. للمرة الأولى لا يبدو واثقاً

من نفسه إلى هذا الحد .. وتقدم نحوى .. يبطء ..

يبطء ..

بدأت أراجع بدورى إلى البقعة المحددة .. حيث

سقط ظل الهوائى ..

خطواته تقوده نحو قطعة القرميد ..

إنها السابعة تماماً ..

توقف لحظة .. نظر حوله .. فتراجعت إلى الوراء

أكثر .. صار الظل فوق صدرى ..

لقد كان الاسترداد ناجحاً ودقيقاً .. وعاد الرجل إلى
عالمه مرغماً ..

ولحسن الحظ لم يفهم الجزء الأخير من اللعبة إلا
بعد قوات الألوان ..

★ ★ ★

إن المرء لا يلقي نفسه كل يوم
شكراً لله ... !

★ ★ ★

انتظر هنيهة .. ثم نظر للسماء .. وغمغم في شك :
- « غريب ! لم يحدث شيء .. »

- « لعلها فوارق التوقيت بين الكوكبين .. »

- « كلا .. إن الموعد في الساعة بتوقيتكم هنا .. »

وعاد ينظر حوله .. ثم غمغم في شك أكبر ، وهو
يركل قطعة القرميد :

- « لحظة ! هل قمت بتحريك الهوائى من

موضعه ؟ ! »

والتمع الفهم في عينيه :

- « أنت حركت الهوائى من موضعه ! »

وهنا شعرت أن الهواء مشحون كأنما عاصفة
رعديّة تدنو .. وفي اللحظة التالية رأيت جسده يتحول

إلى لون أزرق باهت .. ثم بدأت ظلال سوداء تزحف
لتغزو اللون الأزرق .. وازداد اللون شحوباً ..

لقد صار جسده شفافاً تماماً .. ثم .. لم يعد هناك

شيء ..

اختفى (رفعت إسماعيل) من أمام عيني ..

اختفى من الوجود في ثانية واحدة ..

الخاتمة

هذا هو كل ما أستطيع قوله عن هذه القصة ..
أشبه شيء هي بهلوسة في عقل أضناه المخدر أو
الإدمان .. لكنها حقيقة واقعة ..
ولقد احتجت إلى جهود كونية ، كي أصلح كل
الخراب الذي تركه الوغد في عالمي قبل أن يرحل ..
تحججت لدى البعض بإرهاق أعصابي .. أو
بحيرتي .. أو بمرضى النفسى .. أو بخرقى وغبائى ..
المهم أنني خسرت كثيرين لم يقبلوا مبرراتى ..
ولطالما دعوت الله ألا يعود ذلك المأفون إلى
عالمى .. وإن كنت أستبعد عودته ، فاجتياز العوالم
الموازية ليس حقاً من حقوق الإنسان يمارسه متى
شاء .. ثم إننى أعتقد أن لدى الرجل مشاكل جمة فى
عالمه .. مشاكل أعقد مما حكاها لى .. ربما هو
متورط فى جريمة ما أو مأزق ما .. هذا هو المبرر
الوحيد لحماسه الشديد كي يجعلنى أعود بدلاً منه ..
على كل حال لم يجل بخاطرى قط أنني قد أكون
مرعباً إلى هذا الحد ..

إن المرء لا يلقي نفسه كل يوم .. ومن الأفضل
لتواميس الطبيعة ألا يحدث هذا أبداً ..

★ ★ ★

والآن - بعد هذه المغامرة القصيرة - يمكننا العودة
إلى روتين الحياة المعهود ..
وسأبدأ بتقديم قصة أخرى عن اثنين من عالم مواز
آخر ..

(سالم وسلمى) .. هل نسيتموهما ؟

إن لدى قصة جيدة قاما بها هي (أرض المغول) ..
وهي تتحدث عن عالم لم يظهر فيه (قطز) .. ما هي
النتيجة ؟ النتيجة هي عالم يحكمه المغول بأكمله
بقبضة لا تلين .. ووحشية غير مسبوقة ..
ولكن هذه قصة أخرى ..

د. (رفعت إسماعيل)
القاهرة

www.dvd4arab.com
Hany3H

ما وراء الطبيعة

روايات تعجبى الأنفاس
من لغة الضمير والروح والذاكرة

روايات مصرية الحبيب

أسطورة رفعت !

هناك مسوخ ومسوخ ..
مسوخ تزار في الغابات
المظلمة .. ومسوخ تنتظر في
أعماق المحيط .. ومسوخ تفتح
أبواب المقابر ليلاً .. ومسوخ تفتح
عيونها في ظلام معمل ما .. لكن
أشنع منسوخ يمكن للمرء أن
يلقاه .. هو نفسه !



د. أحمد خالد توفيق

www.dvd4arab.com
Hany3H

العدد القادم :
أسطورة أرض المغول

المنشور
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر
بلازا القاهرة - مصر
www.hany3h.com

الشخص في
وإبائاته في
في سائر الدول العربية والعالم